الفصل الأول
إمارة بني مزيد الإطار المكاني والزماني

- جغرافية جنوب العراق.
- قيام إمارة بني مزيد.
- القوي المعاصرة لبني مزيد.
- توسع إمارة بني مزيد.
- تمصير مدينة الحلة.
- إمارة بني مزيد بين الاستيلاء والإقطاع العسكري

جغرافية جنوب العراق:

لقد حدا بنا الحديث عن القوى المعاصرة لبنى مزيد أن نتكلم في عجالة عن جغرافية منطقة جنوب الفرات في عصر إمارة بني مزيد؛ حتى نتعرف على طبيعة الأرض التي ظهرت عليها الإمارة، و ما أحاط بها من قوى تركت آثاراً واضحة على تاريخها. و رغم أن الإمارة في عصرها الذهبي قد اتسعت وامتد سلطانها إلى هلالٍ كبير من الأرض العراقية، من تكريت [١]،شمالاً على حدود العراق مع بلاد الجزيرة[٢] وحتى عبدان[٣] جنوباً عند رأس الخليج الفارسي[٤]، غير أن هذا الامتداد كان محدوداً من الناحية الزمنية، وبالتالي سوف نكتفي بوصف منطقة جنوب الفرات حيث انتشر نفوذ بني أسد تلك القبيلة التي انحدر منها بنو مزيد.

والبدء بالوصف الجغرافي لمنطقة تركز قوة الإمارة أمر من الأهمية بمكان؛ حتى تكتمل أركان الظاهرة التاريخية، ذات الأركان الثلاثة المتمثلة في الإنسان و المكان و الزمان، و إذا كان الإنسان و الزمان يتضحان في ثنايا البحث، فمن الواجب علينا أن نوضح معالم المكان بما عليه من قسمات تضاريسية تتغير عليها الظروف المناخية[٥].

---

(١) تكريت: مدينة تقع على الحدود بين العراق و الجزيرة، إلى الشمال من مدينة سامرا بنحو ثلاثين ميلاً على الضفة الغربية لنهر دجلة اشتهرت بصناعة الصوف و كثرة النصارى بها (A Persian Geography: hudud Al Alam , Frankfurt , 1934 , P140؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص ١٢٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكور كيس عواد، بغداد، ١٩٥٤، ص ٨١.

(٢) بلاد الجزيرة: هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة و الفرات و يحدها من الشمال أرمينية و بلاد الروم، ومن الغرب بلاد الشام، ومن الجنوب السواد ومن الشرق أذربيجان.انظر: أرشيد يوسف: سلاجقة الشام والجزيرة، الرياض، ١٩٨٨، ٣٩.

(٣) عبدان: مدينة صغيرة تعد آخر توابع البصرة من جهة الجنوب عند رأس الخليج الفارسي، كان بها رباط للمتعبدة المجاهدين.انظر عن ذلك: ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبه الحياة،بيروت، بدون تاريخ، ص ٢١٢؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١١٨؛ عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع في ذكر الأماكن و البقاع، جـ ٢، تحقيق على البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤، ص ٩١٣ ٠

(٤) راجع الخريطة رقم (٢) في الملاحق.

(٥) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية للتاريخ عند العرب و المسلمين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤٠.

وقد تركز نشاط بني مزيد في منطقة تمتد بين دائرتي عرض ٣١ و ٣٣ شمالاً[١] و هذه المنطقة يغلب عليها الطابع السهلي؛ ذلك أنها جزء من السهل الرسوبي الكبير[٢]، الذي أطلق عليه العرب اسم السواد [٣]، و بالتحديد في المنطقة التي يتفرع فيها نهر الفرات إلى فرعين، فرع شرقي يسمى نهر سورا و آخر غربي يسمى شط الكوفة.

وقد تكون السهل الرسوبي في هذه المنطقة نتيجة العوالق النهرية التي يحملها الفيضان الفراتي معه كل عام. و من أول نظرة تظهر للرائي الحواف النهرية العالية أو الجسور التي تظهر بصورة أعلى من المناطق السهلية البعيدة عن النهر نسبياً بمعدل مترين أو ثلاثة أمتار[٤]، و هذه الجسور تتعرض أثناء الفيضانات العالية لانهيار الأجزاء الضعيفة منها فيما يعرف لدي الجغرافيين المسلمين باسم البثوق[٥] و بمجرد حدوث البثق، تتحول المنخفضات السهلية إلى مستنقعات تعرف في العراق باسم البطائح[٦].

وعلى الرغم من أن منطقة السواد شديدة الخصوبة، و الزراعة أهم الحرف فيها إلا أن بني مزيد لم يقوموا بالزراعة، واكتفوا بأن يكونوا جباة للخراج، و يرجع ذلك إلى أن طابع الأنفة والترفع عن الأعمال اليدوية قد غلب على بني مزيد شأنهم شأن أعراب البادية، الذين نظروا إلى الزراعة على أنها من الأعمال الدونية التي يقوم

---

(١) انظر الخريطة رقم (١)في الملاحق.

(٢) جاسم الخلف: جغرافية العراق، جـ ١، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٤١.

(٣) السواد: يمتد السهل الرسوبي أو السواد في صورة مستطيل طوله ٦٥ كم، و عرضه ٢٥ كم من الاتجاه الشمالي الغربي نحو الاتجاه الجنوبي الشرقي، من الموصل في الشمال حتى غربي مدينة البصرة قرب رأس الخليج الفارسي، و قد سمى السواد سواداً لسواده بالزروع و الأشجار.راجع في ذلك: ابن رستة: الأعلاق النفيسة، معهد إحياء العلوم الإسلامية، فرانكفورت، ١٩٩٠، ص ١٠٤؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ٣، نشر وستنفلد، ليبزج، ١٨٩٩، ص ١٧٤؛ جاسم الخلف: جغرافية العراق، ص ٤٧، ٤٨.

(٤) جاسم الخلف: جغرافية العراق، ص ٤٧، ٤٨.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق:طه عبد الرؤوف، دار بن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٣١٢، ٣١٣.

(٦) لمزيد من التفاصيل راجع،ص ٨.

الأعاجم بها، و فضلوا الأعمال العسكرية على الأنشطة الزراعية[١].

ويتشعب نهر الفرات إلى شعبتين إلى الجنوب من نهر كوثي[٢] بنحو ستة فراسخ[٣]، والشعبة الغربية منه تحمل اسم شط الكوفة و تسير جنوباً لتفيض في منطقة سواد الكوفة ثم تصب في البطائح بقنوات صغيرة[٤]، و قد عد شط الكوفة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي مجراً رئيساً للفرات[٥].

أما الفرع الشرقي فيحمل اسم نهر سورا، أو سوران[٦]، الذي عده الجغرافيون المسلمون مجراً رئيساً للفرات منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[٧] و يتميز نهر سورا باتساع مجراه بصورة أوسع من شط الكوفة، و قد قسمه الجغرافيون إلى قسمين، عرف القسم الشمالي منه بسورا الأعلى و منه تخرج فروع تسقى طسوج[٨] سورا، و طسوجا بارسوما و باربسما[٩].

ثم يواصل النهر طريقه حتى قبالة مدينة قصر ابن هبيرة [١٠] التي تبتعد عن نهر

---

(١) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٣٣.

(٢) عن موضع نهر كوثى راجع الخريطة رقم (١).

(٣) الفرسخ: بذل موسيل جهداً كبيراً في سبيل الوصول إلى التحديد الدقيق لمعادلة الوحدة الطولية المساه بالفرسخ لدي الجغرافيين المسلمين، بالنسبة للوحدة الطولية الحديثة المساه بالكيلو متر، و توصل إلى أن الفرسخ لدي ابن خرادذبه يعادل خمسة كيلو متر، ولدي اليعقوبى يعادل ٤.٩ كيلو متر، بينما القياسات الحديثة تقدره بنحو ٤.٧ كيلو متر (Musil: the Middle Ephrata's , New York , 1927 , P 243)

(٤) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، نشر هانز فون مزيك، فينا، ١٩٢٩، ص ١٢٤.

(٥) لستر نج: بلدان الخلافة، ص ٩٦.

(٦) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، ص ٩٦.

(٧) لستر نج: بلدان الخلافة، ص ٩٦.

(٨) طسوج: قسمت أراضى العراق الزراعية منذ العهد الفارسي إلى أقسام إدارية يعرف كل منها بالطسوج، و هو الناحية، وكل طسوج يقسم إلى وحدات إدارية أصغر تعرف بالاستانات.راجع: ابن خرادذبه: المسالك والممالك، ليدن، ١٨٧٩، ص ٦٢٥.

(٩) سهراب: عجائب الأقاليم، ص ١٢٤.

(١٠) قصر ابن هبيرة: كانت مدينة عامرة بين بغداد والكوفة، بينها وبين بغداد اثنى عشر فرسخاً، يمر بها نهر يسمى بأبي رحا، و قد كانت مدينة جيدة عامرة الأسواق، لكن بناء مدينة الحلة في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي جاء بأثر سلبي على مدينة القصر؛ نتيجة تحول طريق الحج عنها، وهو ما

سورا بمسافة تقارب الميل[١]، و قبالتها كان يوجد جسر على النهر يمر به طريق الحج[٢] حتى بنيت مدينة الحلة؛ فتحول الطريق إليها [٣]. وعند هذا الجسر ينتهي نهر *"سورا"* الأعلى ويبدأ *"سورا"* الأسفل الذي سقى "طساسيج" بابل[٤] والخطرانية والجامعين[٥]، وعند النهاية الجنوبية لنهر "سورا" يتفرع إلى فرعين، وكل فرع منهما تخرج منه عدة فروع تسقى السواد المجاور، و ما تبقى من الماء يذهب إلى البطائح [٦].

وقد أدرك صدقة بن منصور(٤٧٩-٥٠١هـ/١٠٨٦-١١٠٧م) - أعظم أمراء بني مزيد- أهمية منطقة جنوب الفرات، و من ثم فقد اتجه إلى بناء مدينة الحلة في منطقة حصينة إلى الغرب من نهر سورا، و إلى الجنوب من مدينة بابل القديمة، قبالة مدينة "الجامعين" المندثرة [٧]، وبالتالي فقد وفر الحماية الطبيعية لعاصمته الجديدة، وفي نفس الوقت ضمن لها سهولة الاتصال ببغداد عن طريق النهر، كما ضمن لها وفرة الأرزاق؛ نظراً لتعدد أنواع المزروعات في المنطقة المحيطة بها، بجانب ضمان السيطرة على طريق الحج العراقي،و بالتالي فقد تنوعت مصادر الدخل من خراج الزراعة ومكوث التجارة المارة بالمدينة[٨]

وهناك عدة قنوات تخرج من نهر سورا منحدرة نحو نهر دجلة لتروى السواد بين

أدى إلى فقر المدينة واندثارها، حتى إن موضعها لم يعد معروفاً على وجـه التحديد انظر: اليعقوبى: البلدان، ليدن، ١٨٩١، ص ٣٨٥؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢١؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٩٧، ١٢١).

(١) الميل: يعادل الميل العربي، نحو ١.٦٦ كيلومتر حسبما قدره موسيل (Musil: Op.cit , P 243)

(٢) سهراب: عجـائب الأقاليم، ص ١٢٤.

(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٧.

(٤) بابل:بلدة قديمة لم يبق منها سوى الأطلال، إلى الغرب من نهر سورا شمال الحلـة، كانـت حاضـرة مملكـة الكلدانيين القديمة.انظر ياقوت الحموي: معجـم البلدان، جــ١، ص ٢٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية، جــ٣، ترجـمة أحمد الشنتناوي و آخرون، ص ٢٢٧.

(٥) الجـامعين: مدينة كانت تقع في شرق نهر سورا، بنيت في مواجـهتها مدينـة الحلـة (يـاقوت الحمـوي : معجـم البلدان، جـ ٣ ص ٣٢٢.

(٦) سهراب: عجـائب الأقاليم، ص ١٢٥.

(٧) ياقوت الحموي: معجـم البلدان، جـ ٣، ص ٣٢٢.

(٨) لمزيد من التفاصيل راجـع الفصل الرابع ص ٢١٩.

دجلة والفرات وعلى رأسها قناة تسمى "نهر النيل" وهي قسمين؛ القسم الأول يحمل اسم "نهر الصراه الكبير" و ينتهي عند موضع بنيت فيه بلدة النيل[١]، و قبيل هذه البلدة يتفرع من الصراه قناة تسقى الضياع المحيطة ببلدة النيل، و بعدها يصب في النهر بعد أن يكون قد حمل اسم "النيل" في منطقة تبعد عن بلدة النيل بنحو ثلاثة فراسخ [٢] وقد أطلق هذا الاسم من قبل *"الحجاج بن يوسف الثقفي"* الذي أعاد حفر نهر الصراه، وقناة "جاماسب" القديمة بعد أن طمرتا، وقد سمى النهر باسم " النيل " تيمناً بنيل مصر [٣] ويواصل النهر انحداره حتى منطقة "الهول" التي تبعد عن قرية "النعمانية "الواقعة على شاطئ دجلة بنحو فرسخ، ثم يسير النهر حتى يصب في دجلة أسفل قرية صغيرة تسمى *"سابس"* [٤]

وكانت منطقة النيل أولى المناطق التي استقر فيها "بنو مَزيَد"، بعد نزوحهم من البادية إلى سواد العراق، حيث استقرت مضارب خيامهم قرب مدينة النيل، لفترة طويلة حتى قام الأمير"صدقة بن منصور" ببناء مدينة الحلة؛ لتكون عاصمة ثابتة غرب نهر سورا[٥]. و إلى الجنوب من نهر سورا تمتد "البطائح" وهي مساحات واسعة من المياه تغطى المناطق التي كانت تمر بها فروع الفرات في جنوب الكوفة[٦]، وتبدأ البطائح عند خط عرض يمر بمدينة واسط[٧]، وتنتهي قبالة مدينة

---

(١) النيل: مدينة إسلامية أمر ببنائها الحجاج بن يوسف الثقفي، و عمرت و اتسعت حتى صارت تماس نهر الصراه مما حتم بناء قنطرة تربط بين ضفتي النهر عرفت باسم قنطرة الماسى.راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٨٦٧؛ سهراب: عجائب الأقاليم، ص ١٢٥.

(٢) سهراب: عجائب الأقاليم، ص ١٢٥.

(٣) طه الهاشمي: المفصل في جغرافية العراق، ص ٤٩٧.

(٤) سهراب: عجائب الأقاليم، ص ١٢٥.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص ٣٢٢.

(٦) الكوفة: مدينة إسلامية محدثة مصرها سعد بن أبى وقاص، تقع على الضفة الغربية من نهر الفرات، حجمها يقارب مدينة البصرة،تم تمصيرها عام (١٧هـ / ٦٣٨م) انظر عن ذلك: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٩، اليعقوبى: البلدان، ص ٣٠٩؛انظر أيضا: Hudud Alalam. P140.

(٧) واسط: سميت بهذا الاسم لأنها تقع في موقع متوسط بين بغداد، و الكوفة، و البصرة، و هي من بناء الحجاج بن يوسف الثقفي، و كانت المدينة قسمين يفصل بينهما نهر دجلة، و قد عرفت واسط بطيب هوائها، و كثرة زرعها و نخيلها.راجع: اليعقوبى: البلدان، ص ١٣؛ القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٤، ص ٣٣٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣١٠ .

البصرة[١] و يمكن أن نميز بين ظاهرتين واضحتين في البطائح: الأولى هي "الآجام"، والثانية هي "الأهوار"، أما عن الآجام:فهي مساحات واسعة من المياه تظهر بها نباتات القصب، بينما الأهوار:هي مساحات من المياه خالية من النباتات في وسط الآجام، ومن آن لآخر تظهر بعض المناطق العالية أو الجزر الطينية في وسط الأهوار تسمى بالجوامد [٢].

ونظراً لصعوبة مسالك البطائح فقد صارت مأوى لكل خارج عن السلطة المركزية في بغداد، وكانت دائماً هي الملجأ الأمين لبنى مزيد في تاريخهم المبكر حين كانت تضيق بهم السبل، فقد فر إليها "على بن مزيد" من وجه "المقلد العقيلى "عام (٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)[٣] كما سعى الأمير "صدقة بن منصور" إلى بناء عاصمته في البطائح حتى يكون بعيداً عن يد السلاجقة[٤] إذا ما هاجموه، لكن طبيعة أرض

---

(١) البصرة: كلمة البصرة تعنى الحجارة الرخوة، و هي مدينة إسلامية محدثة مصرها عتبه بن غزوان، عام (١٦ هـ / ٦٣٧م)، و تقع البصرة على بعد أربعة فراسخ غرب دجلة، و تتصل بدجلة عن طريق نهر "معقل"، و يحدها من الغرب البادية، على شكل قوس و إلى الشرق منها توجد جداول نهرية، و مساحتها فرسخين طولاً و مثلها عرضاً، و قد أحيطت بسور من جهة شط العرب.انظر: ابن الفقيه: مختصر البلدان، ليدن، ١١٠٣ هـ، ص ١٨٧، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٣٦، اليعقوبى: البلدان، ص ٣٢٢، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢١٢؛ ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ١٦٣، ١٦٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٨٧.

(٢) الأصطخرى: المسالك و الممالك، ص ٥٧،٥٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢١٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ١، ص ٤٥٠ – ٤٥١.

(٣) الرذراورى: ذيل تجارب الأمم، تصحيح أمدروز، مطبعة التمدن، القاهرة، ١٩١٦، ص ٢٩٥، ٢٩٦؛ وفاء محمد على: دولة البطائح في عهد البويهيين، ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢١٧ ٠المقلد العقيلى: هو المقلد بن المسيب بن رافع العقيلى، الملقب بحسام الدولة، امتد حكمه لإمارة بنى عقيل في الفترة بين (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) و عام (٣٩١هـ / ١٠٠٠م)، اتسع ملك بنى عقيل في عهده حتى ضم أرض الجزيرة الفراتيه وسقى الفرات.انظر: خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل في الموصل؛ بغداد، ١٩٦٨، ص ٥٥، ٥٦.

(٤) السلاجقة: هم مجموعة من قبائل الغز التركية، التي كانت تعيش في منطقة التركستان، توحدت تحت زعامة سلجوق بن دقاق الذي استقر بهم خلف نهر جيحون، وقبيل قيام دولتهم بنصف قرن اعتنق سلجوق الإسلام، الذي صار جواز مرور لهم إلى الأرض الإسلامية فقبل السامانيون إقامتهم في بعض أملاكهم. ومع مطلع القرن الخامس الهجري أفل نجم السامانيين، وأشرقت شمس الغزنويين، في وقت استفحل فيه خطر السلاجقة، مما دفع السلطان محمود الغزنوى إلى كسر شوكتهم، و على الرغم من ذلك، إلا أنهم عادوا و اشتد ساعدهم في عهد السلطان مسعود الغزنوى، مما دفعه إلى التصدي لخطرهم، فإنهم أوقعوا به عند مدينة

البطائح و سوء مناخها و شدة حرارتها وارتفاع نسبة رطوبتها جعلته يعدل عن ذلك[١].

وتتمتع منطقة جنوب الفرات بخلفية صحراوية قاحلة، إلى الغرب منها تعرف ببادية العراق، وهي تمثل الجزء الجنوبي من بادية الشام[٢]، وأهم ما يميز هذه الخلفية الصحراوية القاحلة ظاهرة تموج الكثبان الرملية بها،كما تكثر التلال الصغيرة والأودية الجافة[٣].

وبادية العرق أو السماوة ذات أرض فقيرة في نباتها الطبيعي نتيجة ندرة الأمطار. وتنحدر المنطقة بصورة عامة نحو سهول الفرات، والوديان الجافة تقطع الهضبة بشكل مباشر نحو سهول الفرات، وهو ما سهل حركة القبائل العربية في المنطقة وجعل باب العراق مفتوحاً أمامهم منذ وقت مبكر من تاريخ العرب[٤]؛ مما ساعد على انتشار القبائل العربية في منطقة جنوب العراق قبل الإسلام، كما زادت بصورة ملحوظة بعد الفتح الإسلامي بخاصة أن طريق الحج بعد الإسلام صار يمر بمنطقة جنوب الفرات، قادماً من بغداد حيث تتجمع قوافل الحج المشرقي وتمر بمنطقة جنوب الفرات عبر قناطر فرعى الفرات ثم عبر الأودية في الصحراء حتى تصل إلى مكة[٥]، وقد ساعد وجود طريق الحج على ازدهار المدن المار بها، التي صارت

سرخس عام (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م) و هو ما مكن طغرلبك من إعلان نفسه سلطاناً، ورغم معاودة السلطان مسعود الحرب إلا أنهم سحقوه في معركة فاصلة عام (٤٣٢ هـ / ١٠٤٠م) و هو ما شجع الخليفة العباسي القائم بأمر الله على طلب طغرلبك إلى بغداد، بعدها قضى طغرلبك على الدولة البويهيه بدخوله بغداد عام (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م).انظر عن ذلك ابن الأثير الكامل،جـ٩،ص ٤٧٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٦، ص ٤٧٣؛ عبد النعيم، , Archer &Kingsford:The Crusades حسنين: سلاجقة إيران والعراق،ص ٥٢، التعريف بالسلاجقة على الانترنت بعنوان: .London, 1914 , P.19
http.//history.al-islam.com/display.asp?f=asb55118.htm.

(١) ابن الجوزى: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، جـ ٩، حيدر أباد، ١٣٥٩ هـ، ص ١٣٢.

(٢) أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٨.

(٣) محمد الزوكة: جغرافية العالم العربي، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٩٦.

(٤) نفسه.

(٥) طريق الحج الكوفي: يبدأ من بغداد من ضاحية الكرخ ومنها تسير القوافل إلى جسر يمر بمدينة صرصر ثم يعبر نهر الملك ثم نهر كوثى حتى مدينة قصر ابن هبيرة، ثم يعبر جسر نهر سورا على جسر من السفن،

مراكز تجارية مثل مدينة قصر ابن هبيرة التي ظلت مزدهرة حتى تحول طريق الحج عنها، فصارت خراباً ولم يعد موقعها معروفاً، وفي نفس الوقت صارت الحلة أهم المراكز التجارية في جنوب الفرات أجمع لمرور طريق الحج بها[١].

وكان للمنطقة الصحراوية دور فعال في حياة بني مزيد فهم أولاً عشيرة بدوية وطباع الصحراء غالبة عليهم من شجاعة وكرم و إجارة، وهي أمور تركت آثاراً واضحة في تاريخ الإمارة، كما أن هذه الخلفية الصحراوية كانت الملاذ الآمن لأمراء بني مزيد حين تضيق بهم السبل فلا يجدون غيرها سبيلاً للنجاة والبحث عن الحلفاء من أعراب البادية [٢].

أما عن مناخ المنطقة، فيقع ضمن المناخ الصحراوي الحار[٣] المتميز بصيف طويل حار، وشتاء قصير معتدل، وهو ما ساعد على طول فصل النمو في جنوب العراق[٤]، وتتركز الأمطار في فصل الشتاء في صورة رخات رعدية لفترات قصيرة، وأحياناً تتخذ شكل الثلوج التي يصل وزن بعضها إلى رطل أو رطلين مثلما حدث عام (٣٥١ هـ / ٩٦٢م)[٥]، وأحياناً تنخفض الحرارة حتى يتجمد الماء مثلما حدث عام (٣٨٨ هـ / ٩٩٨م) حين جمد الماء في كل مكان حتى عبر الناس نهر سورا سيراً على الجليد[٦] وكان لهذه الثلوج آثاراً سلبية على المزروعات فتهلك النخيل والكروم وهو أمر كانت آثاره تستمر لسنوات عدة[٧].

ثم يسير حتى يعبر شط الكوفة، ومنها إلى القادسية ثم إلى البادية حتى مكة عبر دروب = الصحراء، وفي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تحول هذا الطريق من قصر ابن هبيرة إلى الحلة.راجع: ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص ١٨٢؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١١١ .

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٢٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٦١٠.

(٣) جاسم الخلف: جغرافية العراق، ص ١١٦.

(٤)جاسم الخلف: جغرافية العراق، ص ٩٧.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧، ص ٨.

(٦)نفسه، ص ٢٠٢.

(٧) نفسه، ص ٢٠٦

كانت هذه نظرة سريعة على جغرافية جنوب الفرات[١] تلك المنطقة التي استقر بها بنو مزيد، وأسسوا بها إمارتهم وقد منح هذا الموقع لبني مزيد ثروة طائلة جنوها من خراج المنطقة بجانب مكوس التجارة المارة بمدنهم، مما ساعدهم على التوسع شمالاً وجنوباً، وحتم ذلك عليهم الدخول في صراعات مع القوى المحلية المعاصرة بخاصة الخلافة العباسية، أو من تغلب عليها، أو مع القبائل العربية المجاورة المنافسة، وفي نفس الوقت وفر لها الملاذ الآمن في أوقات الفتن والأزمات.

قيام إمارة بني مزيد[٢]

بنو مزيد قوة عربية شيعية إماميه، استطاعت استغلال حالة عدم الاستقرار السياسي في العراق في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، مستغلة ضعف الخلافة العباسية، وتغلب بنو بويه عليها، الذين شغلوا بالصراعات فيما بينهم، مما أفسح المجال للقوى القبلية لتظهر على الساحة في صورة دول وإمارات وعلى رأسها بني مزيد.

وبنو مزيد عرب خُلص، ينحدرون من عشيرة ناشرة إحدى عشائر قبيلة بني أسد العربية[٣]، وعلى عادة الكتاب العرب فقد اهتموا بتأصيل نسب بني مزيد شأنهم شأن العشائر العربية الكبرى، وقد قدمت المصادر لنا عدة سلاسل لنسب بني مزيد في شكل سلاسل، أهمها ما ورد لدي أبى البقاء الحلي، و ما ورد لدي ابن العديم.

السلسلة الأولى التي أوردها أبى البقاء الحلي تذكر أن نسب الأمير صدقة الأول كالتالي " ملك العرب سيف الدولة أبى الحسن صدقة بن منصور بن دبيس ابن على بن مزيد بن مرثد بن الديان بن غدور بن عدني بن جلد بن حيى بن عبادة بن مالك بن عمرو بن أبى المظفار ومالك بن عوف بن معاوية بن كسر ابن ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبه بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن

---

(١) راجع الخريطة رقم (١).

(٢) مَزْيَد: بفتح الميم و سكون الزاي و فتح الباء المثناه من تحتها وبعدها دال مهملة، ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، جـ٢، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨، ص ١٨٣؛ معجم أسماء العرب، جـ١، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ١٩٨٩، ص ١٥٦.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١، ص ٢١٠.

مضر بن نزار بن معد بن عدنان[١].

أما السلسلة الثانية فقد رويت عن شخصية مغمورة هي "أبو العباس أحمد بن علوان الأسدي"[٢] عن طريق ابن العديم حين ترجم لدبيس بن صدقة، وجاءت كالتالي " دُبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد بن مرثد بن زنجى بن ريان بن عدنى بن عزور وقيل بن عدنى بن جلد بن حى بن عمرو بن أبى المظفار مالك بن عوف بن معاوي بن كسر بن ناشرة بن سعد بن سوادة بن مالك بن سعد بن ثعلبه بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن سعيد بن عدنان "[٣].

أما السلسلة الثالثة فقد وردت لدي ابن العديم نقلاً عن الشاعر الأبيوردى[٤]، ذلك الشاعر الأثير لدي ملك العرب "صدقة بن منصور" رابع حكام بنى مزيد وجاء فيها " هو أبو الأغر دبيس بن صدقة بن منصور بن بهاء الدولة بن دبيس نور الدولة بن على بن مزيد الأمير بن مرثد الأمير بن الريان بن عدنى بن خالد بن مالك بن حى بن عبادة بن مالك بن عوف بن معاوية بن كسر ابن ناشرة بن نصر بن سواد بن مالك بن ثعلبه بن دودان بن أسد بن خزيمة[٥] ". وثمة سلسة وردت لدي الزبيدى بدأها بصدقة بن منصور جاء فيها " أمير العرب سيف الدولة أبو الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد بن مرثد بن الدبان بن خالد بن حى بن زنجى بن عمرو بن خالد بن مالك ابن عوف بن مالك بن ناشرة بن نصر بن سوادة بن سعد بن مالك بن ثعلبه بن دودان بن أسد[٦].

والمدقق في السلاسل السابقة يلاحظ أن سلسلة "أبى البقاء الحلي" تتشابه مع سلسلة "أبو العباس الأسدي" أما سلسلة الابيوردى فهي أكثر اختصاراً لكنها تميزت

---

(١) أبى البقاء الحلي: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، جـ١، تحقيق محمد الخريسات و صالح دراكة، مركز زايد للتراث و التاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠، ص ٣٦٥.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) ابن العديم بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ ٧، تحقيق: سهيل ذكار، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢٤٧٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن الأبيوردى راجع الفصل الرابع ص٢٤٨.

(٥) ابن العديم: بغية الطلب، جـ ٧، ص ٢٤٧٨.

(٦) الزبيدى: تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبه الحياة، بيروت، (بدون تاريخ)،ص ٣٨٣.

بذكر ألقاب حكام بنى مزيد حتى عهد دبيس بن صدقة، وعلى الرغم من أن الأمير"على بن مزيد" هو أول من حمل لقب الإمارة منهم[١]، إلا الأبيوردى لم يجد غضاضة في إضافة لقب الإمارة إلي أسماء ثلاثة من آبائه، وهو أمر ليس بمستغرب على شاعر مثل الأبيوردى عاش على إنعامات بنى مزيد، وعلى الرغم من أن سلسلة الزبيدى تكاد تكون اختصارا لسلسلة الأبيوردى بلا ألقاب، لكن يجب عدم الركون إليها خصوصا أن معظم المعلومات التي ذكرها الزبيدى عن بنى مزيد معلومات مغلوطة مما يوحي بأنه حصل عليها من مصدر غير موثوق به.

هكذا نخلص إلى أن نسب بنى مزيد يعود إلى عشيرة "ناشرة" أمر مسلماً به، و أنهم فرع من أبناء "عدنان بن إسماعيل" – عليه السلام [٢] وبالتالي فإن بنى مزيد ينتمون إلى العرب المستعربة[٣]. هذا عن نسب بنى مزيد أما قبيلتهم بنى أسد، فقد سكنت قبل الإسلام في المنطقة المحيطة بجبلي" أجا" و" سلمى"[٤]، لمدة غير معروفة من الزمن، حتى خرج بنو طىء من اليمن وتغلبوا عليهم فتفرقوا في أنحاء الجزيرة العربية[٥] وانتشرت منازلهم في منطقة واسعة تكاد تخترق شبه الجزيرة العربية من يثرب حتى سهول الفرات، ومع ذلك لم يكن لهم سلطان على المنطقة الشاسعة التي انتشروا فيها، ولعل مرجع ذلك إلى تشتتهم، وتفرق جماعتهم مما حال

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٦٣.

(٢) ابن حزم:جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ)، ص ٧،١١.

(٣) جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٩٤. هناك ثمة اتفاق بين الرواة وأهل الخبر على تقسيم العرب من حيث القدم إلى عرب بائدة وعرب عاربة، وعرب مستعربة، والعرب القدماء الذين انقطع ذكرهم مثل عاد وثمود هم العرب البائدة، أما العرب العاربه فهم العرب الخلص الذين ينحدرون من أصول عربية خالصة، أما العرب المستعربة فهم نسل إسماعيل - عليه السلام – الذين انضموا إلى العرب العاربة واندمجوا فيهم. جواد على: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٩٤، ٣٧٥.

(٤) أجا و سلمى: هما جبلان مشهوران من جبال نجد يصعب ارتقائهما. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص ١١٣.

(٥) القلقشندى: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، جـ ١، ص ٣٧؛ عمر رضا كحالة: معجم القبائل العربية، د مشق، ١٩٤٩، ص ٢١.

دون أن يكون لهم شوكه أو سلطان[١] و مع ظهور الإسلام وقف منه بنو أسد موقف سلبي لفترة من الزمن[٢] لكنهم دخلوا الإسلام بصورة تدريجية، ويبدو أن بعضهم لم يدخل الإسلام عن اقتناع بدليل مشاركتهم في حروب الردة[٣] ومع ارتفاع موجة الفتح الإسلامية انخرط فيها بنو أسد وضربوا فيها بسهم وافر[٤]، وتحركت الكثير من عشائرهم إلى جنوب العراق، وتركز معظمهم حول الكوفة[٥].

ومع اشتعال نار الفتنة الكبرى في الدولة الإسلامية مال بنو أسد إلى الإمام على- كرم الله وجهه - [٦] وكانت هذه بداية تشيعهم، وبالتالي تشيع بنى مزيد، وبالرغم من عجز بنى أسد عن التصدي للأمويين ومنع حادثة كربلاء و مقتل الإمام الحسين – رضي الله عنه -، إلا أنهم ساندوا الساعيين للانتقام له، وقاموا بدورٍ كبيرٍ في ذلك[٧]. و بمرور الزمن تحول بنو أسد من مجرد مقاتلين إلى أهل علم ودين حتى أن كثيراً من رواة سنن الشيعة كانوا من أسدى الكوفة[٨]. وقد تشيع بنو مزيد مثل قومهم بنو أسد على مذهب الشيعة الإمامية، ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً زمنياً محدداً اعتنق فيه بنو مزيد المذهب الشيعي الإمامي، و لا شخصاً بعينه كان وراء هذا التشيع، ولكن المرجح أنهم ورثوه عن قومهم من بنى أسد؛ ذلك أن عدداً كبيراً من بنى أسد كانوا من علماء الشيعة الإمامية،تتلمذوا على يد أئمة الشيعة الإمامية مثل الإمام محمد الباقر[٩]، و من

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، جـ٣، ص ٢٧٢.

(٢) محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، جـ ٢، ملحق مجلة الأزهر، عدد ربيع الآخر، ص ١٨٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٢، ص ١٩.؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢، ص ٢٧٧.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان،ص ١٢١، ١٢٢؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٩٤.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢، ص ٢٧٧.

(٦) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ١، القاهرة، (بدون تاريخ)، ص ٣٤١.

(٧) ابن طبا طبا: الفخري، ص ١٥٠.؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص ٢١٩.

(٨) دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢، ص ٢٧٩.

(٩) الإمام محمد الباقر: هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب – رضى الله عنهم – ولد عام (٥٧ هـ / ٦٧٧م) و عاصر أشد المحن التي ألمت بآل أبى طالب، وقد جمع بين العلم، و الفقه، والشرف، و الديانة، كان رابع الأئمة المعصومين في اعتقاد الشيعة الإمامية، توفي عام (١١٤ هـ / ٧٣٣ م).راجع: الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ ٣، دار الغد العربي،القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤٠٩؛ هاشم

تلاميذه إبراهيم بن صالح الأنماطى الأسدي[١]، كما تتلمذ عدد من علماء بنى أسد على يد الإمام جعفر الصادق[٢] مثل "إبان بن عمر الأسدي"[٣]، وإبراهيم بن عبد الحميد الأسدي الكوفي[٤] الذي تتلمذ على يد الإمام محمد الباقر وولده "الإمام موسى الكاظم"[٥]، وصاحب الإمام عـــلى الرضا[٦]. ومن مشاهير علماء بنى أسد أيضاً "إبراهيم بن أبى بكر بن مهزم الأسدي"[٧] تلميذ الإمامين الصادق والكاظم، وهؤلاء عدد من علماء بنى أسد على سبيل المثال لا الحصر، ومن الواضح أنهم قد تتلمذوا على يد كبار أئمة الشيعة الإمامية، وكان معظمهم يقيم في الكوفة، وكان من الطبعي أن يفتخر بهم بنو أسد و يصيروا من أشد المناصرين لمذهب الشيعة الإمامية، ومن ثم

معروف: سيرة الأئمة الإثنى عشر، جـ ٢، دار القلم، بيروت، ١٩٨١، ص ١٩٣.

(١) إبراهيم بن صالح:الأنماطى الكوفي، الأسدي،من تلاميذ الإمام الباقر، و من ثقات رواة الشيعة، له عدد من الكتب أشتهر منها كتاب الغيبة.راجع:محسن أمين الحسيني: أعيان الشيعة، جـ ٥، دمشق، ١٩٣٦، ص ٢٧٤.

(٢) الإمام جعفر الصادق: هو ابن الإمام محمد الباقر – رضى الله عنهما – ولد عام (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) كان خامس أئمة الشيعة الإمامية، عاصر نهاية الدولة الأموية و بداية الدولة العباسية، و قد شغل نفسه بنشر العلم حتى عد له أربعة آلاف طالب منهم الإمام أبى حنيفة، توفي عام (١٤٩ هـ / ٧٦١ م).راجع: الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ٤، ص ١٧٦ – ١٨٠؛ علاء القزوينى: الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٨٨ .

(٣) إبان بن عمر الأسدي: كان من تلاميذ الإمام جعفر الصادق، وكان من ثقاة رواة الشيعة الإمامية. انظر: محسن أمين الحسيني: أعيان الشيعة، جـ٥، ص ٧٣.

(٤) إبراهيم بن عبد الحميد الأسدي الكوفي: كان من تلاميذ الإمام جعفر الصادق، والإمام على الرضا، وهو من ثقات الشيعة له "كتاب النوادر"، وكان يروى الأحاديث بمسجد الكوفة.راجع عنه: محسن أمين الحسيني: أعيان الشيعة، جـ ٥، ص ص ٣٠٤ – ٣٠٧.

(٥) الإمام موسى الكاظم: هو الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، ولد عام (١٢٨ هـ / ٧٤٧ م) أقام بالمدينة حتى نقله الخليفة العباسي هارون الرشيد، خوفاً من تجمع الناس حوله، و حبس في بغداد، غير مضيق عليه، توفي عام (١٨٣ هـ / ٨٠٠ م).راجع: الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ٥، ص ٣٦٨، ٣٦٩.

(٦) الإمام على الرضا: هو أبو الحسن على الرضا بن موسى بن جعفر الصادق، ثامن الأئمة من أهل البيت، ولد عام (١٤٨ أو ١٥٣ هـ / ٧٦٧ أو ٧٧٠ م) توفي عام (٢٠٣ هـ / ٨١٨ م).انظر: هاشم معروف: سيرة الأئمة الإثنى عشر، جـ ٢، ص ص ٣٥٢ – ٣٥٦.

(٧) إبراهيم الأسدي: هو إبراهيم بن أبى بكر الأسدي، من ثقات الشيعة الإمامية، روى عن الإمام موسى الكاظم (محسن أمين الحسيني: أعيان الشيعة، جـ ٥، ص ص ٤١٢ – ٤١٦).

تشيع بنو مزيد على مذهب الشيعة الإمامية.

و المذهب الشيعي الإمامي: هو مذهب جمهور الشيعة، الذين يؤمنون بوجود اثنا عشر إماما، آخرهم" محمد بن الحسن العسكري " – رضـى الله عنه - الذي اختفي في سرداب في "سامرا"[١]، ويُنتظر عودته، ومن أهم معتقداتهم أن الخلافة الإسلامية بما فيها من ولاية باطنة وقيادة معنوية، هما جزءان لا ينفكان عنها، من حق الإمام على بن أبى طالب، وأولاده – رضى الله عنهم _، بموجب تصريح من النبي – صلى الله عليه و سلم – في اعتقاد الشيعة الإمامية، وسائر أئمة أهل البيت، وتعتقد الشيعة الإمامية أن التعاليم الظاهرية للقرآن تشتمل على الحياة المعنوية الكاملة، ولها أصالتها واعتبارها، ولا تقبل النسخ ويجب أن تؤخذ الأحكام والقوانين عن طريق أهل البيت دون غيرهم[٢].

ومهما يكن من أمر فإن بنى أسد أخذوا في الانتشار على نطاق واسع في العراق منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي، بمحاذاة طريق الحج الكوفي، وامتد النطاق الذي انتشروا فيه من البصرة شرقاً حتي عين التمر غرباً[٣]. وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي توغل بنو أسد في الحضر، فاستقر الشيخ مزيد مع عشيرة "ناشرة الأسدية" على قناة النيل قرب موضع مدينة الحلة، في حين عبر زعيم آخر من بنى أسد، نهر دجلة وهو "دبيس بن عفيف

---

(١) سامراء: مدينة تقع عل نهر دجلة شمالي بغداد كانت معروفة قبل الإسلام واسمها باللغة الآرامية (سامراء) أقام فيها الخليفة المعتصم وأمر أن تسمى (سر من رأى) اتخذها سبعة من خلفاء بني العباس علي مدى نصف قرن ونيف عاصمة لهم أي من سنة ٢٢١ هـ إلى سنة ٢٧٩ هـ٨٣٦-٨٩٢ م) (موقع علي الإنترنت بعنوان

http://www.history.al-islam.com/Placesdef.asp?Place=539

(٢) السيد محمد حسن الطبطبائى: الشيعة في الإسلام، ترجمة جعفر بهاء الدين، موقع على الإنترنت بعنوان: WWW.danafajrit.com/maktaa/makataba_thakfy/alshia%20alfee%2001%islamdata/a1

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، حـ٣، ص ٢٧٩، عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة . .انظر:ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٦، ص ٢٥٣.

الأسدي" وضرب خيامه في الحويزة بخوزستان[١].

وقد جاء أول ذكر لبنى مزيد لدي المؤرخ ابن الجوزي، الذي أشار إلى أن أول من اشتهر منهم هو والدهم مزيد الذي منحه معز الدولة بن بويه[٢] مسئولية حماية نهر سورا[٣]، ومن الواضح أن مزيد وعشيرته كانوا يقطنون الصحراء المجاورة للسواد، ويقومون بغارات عليه من آن لآخر للنهب والسلب على عادة البدو، فلما زاد خطرهم قرر معز الدولة بن بويه أن يتقى شرهم بالسماح لهم بالاستقرار في سواد نهر سورا – فرع الفرات الغربي – حماة له، ومع ذلك لم يتخلص الشيخ مزيد وعشيرته من عادة السلب والنهب المتأصلة فيهم، فكان يحمى تارة، وإذا غفلت عنه عين السلطة المركزية كان يقوم بالإغارة على ما جاوره من أراضٍ[٤]، هذا كل ما ذكر عن الشيخ مزيد في المصادر، ويبدو أن دور مزيد اقتصر على ما ذكر لذلك لم تعره المصادر الاهتمام الكبير.

خلف مزيد ولده الشيخ على، ومن الواضح أنه خلف والده في حماية نهر "سورا" وما أحاط به من سواد، ويبدو أن على كان يجبى من المزارعين رسم معين نظير حمايتهم، وكان يؤدى منه نسبة معينة للسلطة المركزية في بغداد حتى أن بهاء الدولة البويهي[٥] طالبه بمتأخرات مالية تراكمت أو طلب مال أكثر من المقرر، مما جعل الشيخ علياً يقلب له ظهر المجن، ويعلن طاعة، وموالاة صمصام الدولة البويهي[٦]،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، جـ٣، ص ٢٧٩؛ و الحويزة موضع بين واسط و البصرة و خوزستان . راجع: ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٩، ص ٢٣٥.

(٢)معز الدولة: هو أحمد بن بويه أحد الأخوة الثلاثة المؤسسين للدولة البويهية، استطاع استغلال اضطراب أحوال الخلافة العباسية وصراعات جند الأتراك و شق طريقة إلى بغداد عام (٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م) (على الشمرى: الدولة البويهية، ص ٢.موقع علي الإنترنت بعنوان http://annbaa.org/riba37/dawla.htm

(٣) عن نهر سورا، راجع ص ٣، ٤.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص ٢٣٥.

(٥) بها الدولة: هو أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه، تولى السلطة بعد وفاة شرف الدولة سنة (٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م)، استمر ملكه أربعة و عشرين عاما، توفي عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م).راجع: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ٦١، ٢٤١.

(٦) صمصام الدولة:هو أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة البويهي تولى حكم العراق عام (٣٧٢هـ / ٩٨٢ م) خلفاً لوالده، ولقب بصمصام الدولة، و لم يستقر له قرار في حكمه بسبب = الصراعات المستمرة

والدعاء له على المنابر، وأطلق يد عشائر بنى أسد، فأغارت على نواحي مدينة واسط، و هو الأمر الذي أثار حفيظة بهاء الدولة فسارع بإرسال جيش لتأديب على بن مزيد الذي كان أضعف من أن يصمد أمام الجيش البويهي، فلم يجد على بن مزيد إلا أحراش البطائح[١] ملجأً له، ومنها أرسل يطلب العفو والصفح من بهاء الدولة الذي قبل العفو عنه وبذلك انتهت حركة التمرد[٢]. ومن الواضح أن بهاء الدولة لم يكن يريد سحق الشيخ على بن مزيد، بل الأمر لم يكن يتعدى التأديب، بخاصة أن الظروف لم تكن مهيأة حين تمرد الشيخ على عام (٣٨٧هـ / ٩٩٧م)؛ للنظر في مشاكل العشائر العربية في وقت عانت فيه العراق من حالة عدم الاستقرار في ظل المشاكل الناجمة عن وجود صمصام الدولة ومساعيه المستمرة لاسترداد العراق [٣]، و بالتالي فهو في حاجة ماسة إلى كل جندي تحسباً لما يستجد في هذا الصراع، يضاف إلى ذلك الانتشار الواسع لبنى أسد في منطقة جنوب الفرات، وبالتالي من الصعب إجلاؤهم، وأخيرا المذهب المشترك بين بنى أسد وبنى بويه وكلاهما شيعي، وإن اختلفا هذا إمامي وهذا زيدي، فوجود بنى أسد الشيعة قد يحدث تقارب يستفيد منه الطرفان في المستقبل، وعلى هذا لم تكن القضية لدي بهاء الدولة هي القضاء على الشيخ على بن مزيد بقدر ما هي كسراً لشوكته؛ بخاصة أنه إذا قتل ربما يظهر من بنى أسد قائد آخر أشد سطوة منه، يسعى للثأر لعلى مما يزيد حالة عدم الاستقرار في جنوب العراق وبالتالي إبقاء الشيخ على والمن عليه بجميل عفو يطوق عنقه خير من إنهاء حياته.

ونظراً لما بدر من الشيخ على بن مزيد فقد فَقّد بهاء الدولة الثقة به، وآثر أن ينقل حماية نهر سورا إلى الأمير المقلد العقيلي فمنحه حماية مدن الكوفة وقصر ابن هبيرة

داخل البيت البويهي على الحكم حتى استولى أخوه شرف الدولة على ما تحت يده، و أسره ثم فر من الأسر و استولى على مساحات من الأراضي ودخل في صراع مع بهاء الدولة البويهي على العراق فقتل في إحدى المعارك عام (٣٨٨هـ / ٩٨٨ م).انظر: الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، تصحيح:أمدروز مطبعة التمدن، القاهرة، ص ٧٧ – ٣١٥؛ موقع التاريخ الإسلامي: ترجمة صمصام الدولة على الإنترنت، بعنوان http://history.ai-islam.com/Names.asp?year=388

(١) عن البطائح راجع ص ٨، ٩.

(٢) الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ٧٦.

والجامعين عام (٣٨٧هـ /٩٩٧م)[١] وربما سعى بهاء الدولة من وراء هذه الخطوة إلى ضرب القوى العربية الناشئة ببعضها، حتى تضعف جميعاً؛ ذلك أن النتيجة الحتمية لهذه الخطوة هي الصدام بين بنى مزيد وبنى عقيل.

ولم يتأخر الصدام طويلاً بين القوتين العربيتين، حين سعى الشيخ على بن مزيد إلى الانتقام من المقلد العقيلى عن طريق مساندة الخارجين عليه من بنى جلدته؛ فحين نشب الخلاف بين المقلد العقيلى وأخيه المسيب، سارع الشيخ على بن مزيد إلى مساندة المسيب؛ عسى أن يظفر ببعض المكاسب من وراء ذلك، غير أن كيده رد إلى نحره، فسرعان ما تصالح الأخوان، وتفرغ له المقلد، فلم يجد على بن مزيد سوى البطائح يفر إليها هرباً من الجيش العقيلى[٢] وعلى الرغم من استيلاء بنى عقيل على معظم نهر سورا وسواده، فإنه من الواضح أن الشيخ على بن مزيد بقى في يده بعض المناطق الخاضعة لإشرافه، وهي المناطق التي أقره عليها "عميد الجيوش" [٣] – القائد البويهي – عام (٣٩٣هـ / ١٠٠٢ م) مقابل أربعين ألف دينار سنوياً[٤].

غير أن الشيخ على بن مزيد لم يستسلم للأمر الواقع، فأخذ يحشد قواته حتى تكونت لديه قوة عسكرية تناطح جيش بنى عقيل، وهو الأمر الذي سعى معه بهاء الدولة إلى استغلاله لضرب القوتين ببعضهما، عسى أن يتخلص من إحداهما، أو كلتيهما معاً، فأرسل إلى على بن مزيد تقليداً عام (٣٩٧هـ/١٠٦٦م) يمنحه ما تحت يد قرواش العقيلى[٥] في منطقة نهر سورا غير أن المصادر لم توضح مدى نجاح أهداف

---

(١) الوذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٩٣.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٢٢ ؛ وفاء محمد على: دولة البطائح في عهد البويهيين، ندوة التاريخ الإسلامي، العدد الثامن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠، ص ٢١٧.

(٣) عميد الجيوش: هو أبو على جعفر المشهور بأستاذ هرمز، تولى حكم العراق نيابة عن بهاء الدولة عام (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢ م)، و توفي عام (٤٠١هـ / ١٠١١ م) ببغداد بعد ثماني سنين وأربعة أشهر في نيابة العراق وعمره تسع وأربعون سنة، تولى حجابة عضد الدولة ثم خدم صمصام الدولة و من بعده بهاء الدولة.راجع: ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٢٤.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٢٢.

(٥) قرواش بن المقلد العقيلى: هو ثاني أمراء بنى عقيل، امتد حكمه من (٣٩١هـ / ١٠٠٠ م) حتى

بهاء الدولة البويهي، وهل استولى الشيخ على بن مزيد على هذه المناطق فور صدور القرار أم تأخر بعض الوقت، وهل استولى عليها جميعاً أم على بعضها، لكن المؤكد أن على بن مزيد صار قوة يعمل حسابها، وأنه اقترب من مرحلة التحول إلى الإمارة المتغلبة، التي تفرض نفسها على الحياة السياسية في العراق في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، يستحق معه أميرها أن يحصل على تقليد رسمي من الخلافة والمتغلب عليها. وأكبر دليل على ارتفاع مكانة الشيخ على بن مزيد، قبول بهاء الدولة البويهي شفاعته في أسرى بنى خفاجة[١] عام (٤٠٢ هـ/ ١٠١١م)[٢].

وواتت الفرصة الشيخ على لإثبات وجوده حين طلب منه الوزير فخر الملك[٣] أن يؤدب بنى خفاجة لتكرار اعتدائهم على قوافل الحج، فأسر منهم عدداً كبيراَ، وأرسلهم إلى بغداد، وهو الأمر الذي رفع ذكر الشيخ على وزاد من شهرته[٤]، و كان من الطبعي أن يحصل الشيخ على بن مزيد على المكافئة مقابل ما قام به من خدمات، تمثلت في الاعتراف بإمارة بنى مزيد من قبل الخلافة والمتغلبين عليها من البويهيين عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)، وبالتالي فقد تحول لقب على بن مزيد من المشيخة إلى الإمارة، ومن ثم يعد هذا العام هو التاريخ الرسمي لقيام الإمارة، وهو ما اتفقت عليه معظم المصادر والمراجع المعاصرة[٥].

(٤٤٤هـ/ ١٠٥٢ م) لمدة نصف قرن تقريباً اتسع حكمه حتى شمل الكوفة والمدائن وسقى الفرات، ولقب من قبل الخليفة القادر بمعتمد الدولة.انظر: خاشع المعاضيدى: دولة بن عقيل،ص ٥٧.

(١) عن بني خفاجة انظر ص ٣٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٣٥؛ محمد خفاجى: الخفاجيون، ص ٤٨.

(٣) فخر الملك: هو وزير بهاء الدولة البويهي، وسلطان الدولة، وكان من أجل وزراء بنى بويه توفي (٤٠٧ هـ / ١٠١٥ م).انظر عنه: خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٢٤).

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٣٦.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٤٢؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢، ص ٢٧٩؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، جـ ٢، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م؛ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، ومعجم الأسرات الحاكمة، جـ١، دار المعارف، ١٩٧٢؛ زينب أحمد أبو على: دور الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣، ص ١٤٨، زمباور: معجم الأسرات الحاكمة، جـ ٢، ترجمة: زكى محمد حسن و آخرين،

لكن لم يوافق الدكتور "جورج مقدسي" GOROE MAKDISI [١] على ما اتفقت عليه المصادر والمراجع من تحديد عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) تاريخاً لقيام إمارة بنى مزيد من الناحية الرسمية، مؤكداً على أن هذه المصادر والمراجع راحت ضحية رواية ابن الأثير المنقولة – من وجهة نظر مقدسي- بصورة محرفة عن ابن الجوزي، وخلص بعد مناقشة طويلة إلى تحديد ظني للتاريخ الرسمي لقيام إمارة بنى مزيد بين عام (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) وعام (٣٥٢هـ / ٩٦٣ م)، وسار على دربه عدد من المراجع الحديثة مثل "الأسرات الإسلامية" لمؤلفة "بوزورث" Bothworth [٢] الذي ذكر بطريق الخطأ أن إمارة بنى مزيد اتسعت في عهد على بن مزيد من "هيت"[٣] شمالاً حتى الكوفة جنوباً في عهد معز الدولة وهو أمر لم يتحقق إلا في عهد صدقة الأول رابع أمراء بنى مزيد في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي [٤].

والحقيقة أن النصوص التي ساقها الدكتور مقدسي لا تقوم دليلاً على أن إمارة بنى مزيد صارت قوة يعتد بها قبل (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) . وأول هذه النصوص، ما رواه ابن الجوزي عند استعراضه لمجمل تاريخ الإمارة ضمن أحداث (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) قائلاً " أول من نبغ من بيته مزيد " فجعل إليه أبو محمد المهلبى – وزير معز الدولة أبى الحسن بن بويه – حماية سورا وسوادها، فوقع الاختلاف بينه وبين بنى

القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٠٧؛وانظر أيضا: Lane poole: mohamadn dynasties ,PARIS , 1925 p.119

(١) Gorge Makdisi: Notes on Hilla and Mazyaadid in Medieval Islam , in J.A.O.S, Mew Havana. USA, 1952, P259.

(٢) Bothworth: Islamic dynasties Edinburgh , 1980, p510

(٣) هيت: هي مدينة صغيرة، تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات، اشتهرت بنخيلها وكثرة خيراتها، وكان لها نحو ثلاثين قرية تابعة غير أنها لم تكن محببة السكنى بسبب الروائح الكريهة المنبعثة من عيون القار.راجع عنها: ابن سعيد: بسط الأرض، معهد مولاي الحسن، تطوان، (بدون تاريخ)، ص ٨٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٣؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٤، ص ٩٩٧؛ عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٣، ص ١٤٨٦.

(٤) راجع توسع إمارة بنى مزيد ص ٣٨وما بعدها .

بويه فكان يحمى تارة ويغير تارة، وبعث إليه أبو غالب[١] سنة القرعاء[٢] فأخذ الثأر منهم ومات فقام ابنه أبو الأغر دبيس[٣]" ومن الواضح أن هذا النص يعتريه بعض الخلل ربما بسبب خطأ من الناسخ أو إلى عدم مراجعة ابن الجوزى –نفسه – له، فبقى الخطأ كما هو دون تصحيح، بخاصة أن النص أغفل الأمير على بن مزيد، كما نسب إلى "مزيد" أعمال قام بها ولده "على"، مثل الثأر للحُجاج من خفاجة. وبصرف النظر عما بالنص من سهو، فإنه لا يعد دليلاً على قيام إمارة بنى مزيد، لأن بنى مزيد في هذه الفترة لم يكونوا يملكون مقومات الإمارة المتغلبة من جيش قوى يفرض كلمته على الخلافة العباسية أو المتغلب عليها، ولكنهم كانوا مجموعة بدوية توالى هجماتها على سواد جنوب الفرات، واتقاء لشرهم – نتيجة عدم تفرغ بنى بويه لهم – قام معز الدولة بمنحهم حماية نهر سورا، ولو أن ما زعمه مقدسي صحيحاً، فأين كانت إمارة بنى مزيد من أحداث القرن الرابع الهجري؟و لماذا أغفلتهم المصادر وهم من وجهة نظر مقدسي إمارة معترف بها؟

وما احتج به مقدسي كدليل ثان على وجود إمارة بنى مزيد قبل (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) من مطالبة بهاء الدولة لعلى بن مزيد بمبلغ مالى كبير متأخر عليه من خراج سواد جنوب الفرات عام (٣٨٧هـ / ٩٩٧م)[٤] لا يقم دليلاً، لأن هذا الأمر يؤكد أن "على بن مزيد" في هذه الفترة لم يكن يقوم بدور الأمير المتغلب، بقدر ما هو تابع بصورة مباشرة للسلطة المركزية في بغداد، وأنه لا يعدوا أن يكون جابياً للخراج لا أكثر. ولم يكن منح على بن مزيد لقب " سند الدولة "[٥] ليقف دليلاً آخر على ما احتج به مقدسي، لأنه لا معنى للقب، يفقد صاحبه مقومات القيام به، في وقت علم فيه أن الغرض منه هو إحداث الوقيعة بين القوى العربية خصوصا بين بنى عقيل وبين

---

(١) يرجح أن يكون "أبو غالب" لقب لفخر الملك وزير بهاء الدولة البويهي.

(٢) لم توضح لنا المصادر ما المقصود بسنة "القرعاء"؟ لكن يرجح أنها اسم أطلق على سنة (٤٠٢ هـ/ ١٠١١ م) الذي هاجم فيه بنو خفاجة الحجاج.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩ ص ٢٣٥؛ وانظر أيضا: Makdisi: Op.cit , p 260

(٤) الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٩٣.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٣٢؛ راجع أيضا: Makdisi: OP.CIT , P 226

بنى مزيد، حتى يضعف الجميع ويقضى عليهم بهاء الدولة بسهولة[١].

وعلى هذا يبقى عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) هو التاريخ الرسمي لقيام إمارة بنى مزيد؛ لأنه العام الذي ظهر فيه بوضوح أن بنى مزيد صاروا قوة فاعلة على الساحة العراقية تستطيع أن تقوم بدور الإمارة الحاجزة التي تحمى سواد العراق من هجمات العشائر البدوية.

القوى المعاصرة لبنى مزيد:

كان العالم الإسلامي إبان نشأة الإمارة يتنازعه معسكران يتربصان ببعضهما الدوائر، وكانت الخلافة العباسية وحاضرتها بغداد هي المعسكر الأول، أما المعسكر الثاني فمثلته الخلافة الفاطمية وحاضرتها القاهرة. و قد عانت الخلافة العباسية إبان هذه الفترة – فترة ظهور بنى مزيد – من سيطرة بنى بويه الديلم [٢] الذين استغلوا ضعف الخلافة، وسيطروا على ما تحت أيديها من بلاد، وسلبوا من الخليفة العباسي سلطانه السياسي، وبقى مجرد واجهة شرعية لبنى بويه حتى لا يثور عليهم أهل السنة، فمع دخول معز الدولة بغداد عام (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) احتكر لنفسه ولقادته كل شئون الحكم والإدارة [٣]، ولم يتوقف الأمر على سلب الخلفاء العباسيين سلطانهم، بل امتد

---

(١) راجع ص ٢٣، ٢٤.

(٢) البويهيون: اختلف الكثير من المؤرخين حول أصل بنى بويه، فمنهم من يرى أنهم من نسل بهرام جور الساسانى، ومنهم من يرى أنهم ديلم، ومنهم من جعلهم من أصل ساساني، ولكنهم زعماء لعشيرة ديلمية، ويرجح أحد الباحثين أنهم ديلم من سكان المنطقة الجبلية في مقاطعة جيلان من بلاد فارس. وبنو بويه هم ثلاثة أخوه _ على و أحمد و الحسن – أبناء أبى شجاع بويه فناخسرو. و بنى بويه مثلهم مثل باقي الديلم يعتنقون المذهب الشيعي الزيدي، و مرجع ذلك أنهم - الديلم - اعتنقوا الإسلام على يد الحسن الأطروش الزيدي. دخل بنو بويه في خدمة "ماكان بن كالى" صاحب طبرستان وجرجان، ثم في طاعة مردويج بن زيار ثم خرجوا عليه وأقاموا دوله خاصة بهم عرفت باسم الدولة البويهية، ضمت بلاد فارس والعراق، وكانت بدايتها في فارس عام (٣٢١ هـ / ٩٣٣م)، و في العراق (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م).راجع: ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ١، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٨، ص ٢٦٤-٢٧٤؛ على الشمرى: الدولة البويهية، موقع على الإنترنت بعنوان http://annbaa.org/riba37/dawla.htm ؛ الزيدية، موقع على الإنترنت بعنوان http://www.rafeda.net/mawsoah/fg.html

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ٤٥٢.

إلى انتزاع أملاك الخلفاء الخاصة، وابقوا لهم ما يسد احتياجاتهم اليومية لا أكثر[١]. وهذا التصرف ليس بغريب على بنى بويه فيكفي الخلاف المذهبي بين المتغلبين الشيعة والخلافة العباسية السنية [٢]، وقد هم معز الدولة أن ينهي وجود الخلافة العباسية، ويبايع الخليفة الفاطمي أو أحد بنى الإمام على _ كرم الله وجهه – لولا نصيحة بعض العقلاء الذين أشاروا بغير ذلك، خوفاً من تولى خليفة يعتقد جمهور الشيعة أنه ذو حق في الخلافة فيتبعوه فتقل هيبة بنى بويه ونفوذهم [٣]. وقد أدرك معز الدولة صواب رأيهم فأخذ بهذا الرأي وأبقى الخليفة العباسي، خاصة مع جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل لدي فقهاء الشيعة الزيدية[٤]، وهو المذهب الذي اتبعه البويهيون[٥]. وبذلك تغلبت المصلحة السياسية على الميل المذهبي.

وفي ظل تغلب بنى بويه تعددت مظاهر ضعف الخلافة العباسية، فقد صار الخلفاء العباسيون مجرد دمى يحركها المتغلبون من بنى بويه ينصبوا من رضوا من بني العباس خليفة ويعزلوا من كرهوا، وقد ظهر ذلك جلياً منذ فجر تغلب بنى بويه على الخلافة العباسية، فنجد معز الدولة بعيد دخوله بغداد يعزل الخليفة المستكفي[٦]، وينصب مكانه الخليفة المطيع لأمر الله [٧]، لمجرد شكه في تدبير الخليفة لأخذ البيعة

---

(١) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٨٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ٤٥٢.

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ٢، ص٥٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص ٤٥٢.

(٤) الزيدية: هي مذهب شيعي معتدل اتبعه البويهيون، وقد أجاز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، أي جواز إمامة غير الفاطمي – من أولاد الحسن والحسين – إذا لم يكن الفاطمي في حالة تسمح له بتولي الإمامة، و ينتسب الزيدية إلى الإمام زيد بن على – رضى الله عنه – وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الثاني الهجري.انظر: الشهرستانى: الملل والنحل، دار الفكر بيروت، ١٩٩٢، ص ١٢٤، ١٢٥؛ انظر أيضا موقع الزيدية على الإنترنت بعنوان .http://www.rafed.net/mawsoah/fg.html

(٥) عبد المنعم ماجد: قيام الخلافة الفاطمية وسقوطها، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٨، ص ٨٦.

(٦) الخليفة المستكفي: هو أبو القاسم عبد الله بن المكتفي، بويع له بالخلافة عام (٣٣٣هـ /٩٤٤ م) و في عهده دخل معز الدولة أحمد بن بويه بغداد، وخلعه بعد ذلك بقليل عام (٣٣٤هـ /٩٤٥م) انظر ابن طبا طبا: الفخري، ص ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٧) الخليفة المطيع: هو أبو القاسم الفضل بن المقتدر، ولاه معز الدولة بعد المستكفي عام (٣٣٤هـ / ٩٤٥م) و بقى حتى عزله معز الدولة عام (٣٦٣هـ / ٩٧٣م) لمرض ألم به و خلفه ولده الطائع.راجع في ذلك: ابن طبا طبا: الفخري، ص ٢٨٩.

لنفسه من رؤساء الديلم عن طريق حفل دعتهم إليه قهرمانة[١] القصر[٢]. وقد سار بهاء الدولة على سنة معز الدولة فقام بخلع الخليفة الطائع لأمر الله[٣] عام (٣٨١هـ/ ٩٩١م) بحجة سجنه لأحد رجال بهاء الدولة، في حين كان هدف بهاء الدولة ودافعه هو استصفاء مال الخليفة الطائع لضائقة مالية ألمت به[٤].

ولم تقتصر مظاهر ضعف الخلافة العباسية على مجرد عزلهم وتوليتهم من قبل بنى بويه، بل تخطى الأمر ذلك إلى مراسلة أعدائهم الفاطميين، فقد راسل عضد الدولة [٥] البويهي الخليفة الفاطمي العزيز بالله[٦] تحت سمع وبصر الخليفة العباسي على الرغم من علمه بالعداء المستحكم بين الطرفين لما بينهما من خلاف في المذهب ونزاع على الخلافة [٧].

ولم يأبه البويهيون بشعور الخليفة العباسي ولا بشعور الأغلبية السنية الواقعين تحت إمرتهم، فاحتفلوا بأعياد الشيعة في عقر دار الخلافة العباسية في بغداد، وارتفع صوت الشيعة في العراق بصفة عامة، ومن الأعياد التي احتفل بها الشيعة " يوم عاشوراء " حزناً على مصرع الحسين _ رضى الله عنه _ في كربلاء [٨]، وصحب هذه الاحتفالات خروج النساء ناشرات شعورهن، كما أغلقت الأسواق بالإضافة إلى

---

(١) القهرمانة: لقب كانت تلقب به مدبرة البيت ومديرة شئونه.راجع: المعجم الوجيز، ص ٥١٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٨ ص ٤٥١؛ ابن طبا طبا: الفخري، ص ٢٨٧.

(٣) الخليفة الطائع لأمر الله: تولي منصب الخلافة في الفترة بين عامي (٣٣٤هـ/٩٤٥م) و (٣٨١هـ/٩٩١م) راجع في ذلك (ابن طباطبا: الفخري، ص ٢٩٠)

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧، ص ١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ٧٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،جـ٥، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ١٦١، ١٦٢.

(٥) عضد الدولة: هو أبو شجاع فنا خسرو الملقب بعضد الدولة بن ركن الدولة أبى الحسن بن بويه كان أعظم ملوك بنى بويه، جمع بين ملك فارس والعراق.انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٢١٨.

(٦) العزيز بالله: هو أبو منصور نزار بن المعز لدين الله الفاطمي، امتدت خلافته بين عامي (٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) و (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م).راجع: المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، جـ١، تحقيق:د.جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٩٩، ص ٣١١.

(٧) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٢٥.

(٨) كربلاء: مدينة مقدسة لدي عامة الشيعة، ذلك أن بها مشهد الإمام الحسين، و تقع في غربي الفرات بمحاذاة قصر ابن هبيرة على ثمانية فراسخ شمال غرب الكوفة، وقد تعرضت المدينة للتخريب عدة مرات بسبب الصراع بين السنة والشيعة.راجع: ابن حوقل: صورة الأرض ص ٢١٨؛ لستر نج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٥؛ عبد الجواد الكليدر: تاريخ كربلاء، القاهرة، ١٩٣٣، ص ص ٦٦-١٠٠ .

كثير من المظاهر المستفزة للأغلبية السنية[١] ومن احتفالات الشيعة يوم الغدير [٢]. كما اهتم أمراء بنى بويه بترميم مشاهد أئمة الشيعة مثل مشهد الإمام الحسين – رضى الله عنه – في كربلاء [٣]وأخذ صوت عامة الشيعة يرتفع في بغداد، واستهانوا بوجود الخليفة العباسي، وكثرت الفتن بينهم وبين السنة، وبلغ الأمر ذروته عام (٣٩٨هـ / ١٠٠٨ م) حين ارتفع صوت الشيعة باسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله [٤] مما أثار حفيظة الخليفة العباسي القادر بالله[٥] فتحرك لتأديبهم[٦].

وقد نتج عن هذا التنامي للنفوذ الشيعي في بغداد، و إفساح المجال أمام دعاة الشيعة الإسماعيلية[٧] داخل أقاليم الدولة العباسية حتى نجح المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي [٨] الداعي الفاطمي، في استمالة عدد من وجهاء العراق وعلى رأسهم

---

(١) حول الاحتفال بيوم عاشوراء ومظاهره انظر: ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧، جـ٨ في معظم سني حكم بنى بويه وكذلك راجع ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤؛ عبد المنعم ماجد: قيام الخلافة الفاطمية و سقوطها،دار المعارف، الاسكندرية،١٩٦٨، ص ١٥٨، ١٥٦.

(٢) يعول الشيعة كثيراً على عيد الغدير، فهو ذكرى حصول الإمام على – رضى الله عنه – على نص صريح بأحقيته في الخلافة بعد رسول الله - صلى الله عليه و سلم – باعتقادهم، حين قال الرسول - صلى الله عليه و سلم – عند غدير خم:" من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ". راجع: الشهرستانى: الملل والنحل، ص ١٣١؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، مكتبه سعيد رأفت، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢١٠.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧،ص ١٦.

(٤) الحاكم بأمر الله: هو سادس الخلفاء الفاطميين، امتدت خلافته بين عامي (٣٨٦ هـ – ٤١١ م/ ٩٩٦ - ١٠٢٠ م). المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ١، ص ٣١١ .

(٥) القادر بالله: هو أبو العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر، بويع له بالخلافة عام (٣٨١ هـ / ٩٩١م) أجبر على الزواج من ابنة عضد الدولة البويهي، و قد مكث في الخلافة لفترة طويلة، توفي سنة (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م).راجع: ابن طباطبا: الفخري، ص ٢٩١.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، حـ٧، ص ٢٣٨.

(٧) الإسماعيلية: هي المذهب الشيعي الذي اعتنقه الفاطميون، و يختلفون عن باقي الشيعة بإثبات أحقية إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق بالخلافة لأنه أكبر الأبناء، ويلقبون بالباطنية لقولهم بأن لكل ظاهر باطن.راجع: الشهرستانى: الملل و النحل، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٨) المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي: هو داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، ولد في شيراز حوالي سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) أخذ عن والده موسى علوم الدعوة الإسماعيلية، وخلفه في الدعوة، و تدرج في المذهب حتى وصل إلى منصب " حجة فارس "، رحل إلى مصر و تولى منصب داعي الدعاة، توفي عام (٤٧٠هـ / ١٠٧٧ م) انظر: سيرة المؤيد، مقدمة المحقق ص ص ١١ –

الملك البويهي أبى كاليجار([1]) ورغم جهود الخلفاء العباسيين للحد من المد الفاطمي، إلا أن هذا المد قد استمر حتى بلغ ذروته في ثورة البساسيرى[2] الذي سعى جدياً للقضاء على الخلافة العباسية بصورة نهائية [3].

وبصفة عامة لم يكن الخليفة العباسي لدي بنى بويه أكثر من سلطة روحية تمنحهم تقليداً يملكون به رقاب العباد ويحكمون بها البلاد، ولأن الخليفة كان إلى حد كبير مدرك لوضعه، فقد آثر عدم التدخل في الخلافات السياسية البويهيه، وكان ينتظر أي صراع على الحكم داخل البيت البويهي حتى ينتهي و يسفر عن شخصية قوية فيمنحها التقليد [4].

هذا عن الخلافة العباسية، أما بنو بويه المتغلبين عليها، فقد كان المفترض أن يكونوا عامل استقرار في العراق،بعد أن انتزعوا السلطان السياسي من الخلافة،وصارت أمانة في أيديهم يجب الحفاظ عليها بحفظ الأرواح، والممتلكات، غير أن هذا لم يحدث؛ و مرجع ذلك أن دولة بنى بويه عانت منذ مشرق شمسها من عدة أمراض تركت آثاراً واضحةً، محدثة حالة من عدم الاستقرار أودت بها في النهاية، ومن هذه الأمراض عدم وجود أساس ثابت لنظام توريث الحكم بين أمراء بنى بويه، وهو الأمر الذي أدى إلى تزايد الانقسامات داخل أجهزة الدولة البويهية، مما أدى إلى التدهور الأمني بشكل عام، وانتشار مظاهر الفساد والسرقة والرشوة [5].

ومن أهم المشاكل التي عانت منها الدولة البويهية، عدم تجانس الجيش البويهي

١٧.

(١) أبو كليجار: هو أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة، ولد بالبصرة عام (٣٩٩هـ / ١٠٠٨) استطاع الاستيلاء على حكم العراق عام (٤٣٥هـ ١٠٤٣م) و توفي (٤٤٠م / ١٠٤٨م) انظر: ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص ١٣٩؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ٣، مكتبه النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٦١ .

(٢) عن البساسيري و ثورته راجع الفصل الثاني، ص ٨٩ و ما بعدها.

(٣) سيرة المؤيد، ص ٤٣، ٤٤؛ عبد المنعم ماجد: قيام الدولة الفاطمية و سقوطها، ص ٢٩.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص ٢٩.

(٥) على الشمرى: الدولة البويهية، ص ٦.

الذي تكون من أخلاط من الديلم والعرب والأتراك [١] و هذا التباين كان من أهم عوامل عدم استقرار القوة العسكرية البويهية بسبب الحساسيات العرقية التي نتجت عن احتكاك الجنود مع بعضهم في ظل عدم وجود قاعدة تجمعهم غير المال، كل هذا أدى إلى كثرة فتن الجند، سواء بسبب تأخر أعطياتهم، مثل ثورتهم على معز الدولة عام (٣٣٤هـ / ٩٤٥م)[٢] أو بسبب الحساسيات العرقية مثل فتنة عام (٣٧٩هـ / ٩٨٩ م) بين الأتراك و الديلم[٣]، و الأمثلة كثيرة وليس هذا موضع ذكرها. و قد ساعد على ضعف بنى بويه، تمكن الفاطميين من تحويل تجارة المحيط الهندي من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر، كذلك سيطرة الغزنويين على الطرق التجارية المؤدية إلى الهند، وهو ما كبد البويهيين خسائر فادحة، و توج ذلك كله ظهور السلاجقة الذين اجتاحوا دولة البويهيين وجعلوها أثر بعد عين[٤].

مما سبق يتضح أن عصر بنى بويه كان عصر اضطرابات وفتن لم يستقر لهم فيه قرار، وفي ظل تلك الصراعات كان من الطبعي أن يتصاعد صوت القوى المحلية مستغلة هذه الأحوال لتحقيق أي مكسب ممكن.

ومن بين القوى التي استغلت ضعف بنى بويه، قبيلة بنى عقيل العربية المنحدرة من نسل عامر بن صعصعة، ويرتفع نسبهم إلى "عدنان "أحد أحفاد إسماعيل -عليه السلام-، انتشروا في رقعة واسعة بين الجزيرة و الشام، وخضعوا لبنى حمدان [٥]، ثم ارتفع ذكرهم بارتفاع بنى حمدان واستطاعوا دخول سواد العراق، واتخذوا من مدينة الموصل[٦] وما حولها مستقراً لهم بعد تمكن زعيمهم أبى الدرداء من السيطرة على

---

(١) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ٤، ص ٦٢، ٦٣.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ ٢، ص ٩٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص ٦٣٤، ٦٣٥.

(٤) على الشمرى: الدولة البويهية، ص ٦.

(٥) بنو حمدان: ينتسبون إلى حمدان بن حمدون، أحد رجال قبيلة تغلب وهم أسرة مغامرة سيطروا على الموصل عام (٢٩٣هـ / ٩٠٥م) حتى (٣٦٩هـ / ٩٧٩م) كما سيطروا على حلب في عهد سيف الدولة الحمدانى سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م) حتى (٢٩٣هـ / ١٠٠٢ م).راجع: دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٨، ص ٧٧.

(٦) الموصل: مدينة قديمة على طرف دجلة سميت بالموصل لأنها وصلت بين دجلة و الفرات، و هي باب العراق، تقع إلى الغرب من دجلة.انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٦، ص ٣٥٢.

الموصل عام (٣٨٢هـ / ٩٢٢م) ومنها امتدت إمارة بنى عقيل إلى المناطق المحيطة بالموصل، خصوصا منطقة غرب الفرات [١]، وبصفة خاصة في عهد "المقلد العقيلى"، الذي كان ذا تطلعات توسعية ولقبه بهاء الدولة بلقب " حسام الدولة " واقطعه "الموصل" و "مدينة القصر" و "الجامعين" [٢]، وهي نفس المنطقة التي ظهرت فيها إمارة بنى مزيد؛ مما كان سبباً في الصدام بين الطرفين[٣].

كما سعت إحدى بطون عقيل، وهي عشيرة "خفاجة "إلى الملك والتغلب، واستغلوا ظروف العراق المضطربة واستولوا على مدينة الكوفة عام (٣٧٤هـ / ٩٨٤م) بقيادة أميرهم طريف الخفاجى[٤]، ومن الكوفة اتجه بنو خفاجة إلى التوسع على حساب بنى عقيل مما أدى إلى التصادم بينهما فأسفر التصادم عن طرد بنى خفاجة من العراق كله إلى الشام عام (٣٩١هـ / ٩٣١م)، ولم تطل غيبتهم، فعادوا في العام التالي إلى العراق حين استدعاهم القائد البويهي أبو جعفر الحجاج [٥] ليستعين بهم ضد بنى عقيل حين اعتدوا على المدائن[٦] وقدم لهم أبو جعفر الحجاج المال والسلاح وعدة الحرب، وهو الأمر الذي منحهم قوة وعدة استخدموها في مطاردة الحجيج ونهب أمتعتهم مما دفع بنى بويه إلى الاستعانة ببنى مزيد لكسر شوكتهم[٧].

وثمة قوة شيعية كبرى عاصرت إمارة بنى مزيد، ألا وهي الخلافة الفاطمية وحاضرتها القاهرة، التي سعت بكل ما أوتيت من قوةإلي الانفراد بلقب الخلافة، من

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ٧٠،؛ ابن خلدون: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٩٦، ص ٥٤٥؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل،ص ٢٧.

(٢) الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، مطبعة التمدن، القاهرة، ١٩١٥، ص ٩٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ١٣٣؛ ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص ٥٤٧.

(٤) ابن الأثير: جـ٩، ص ١٧٠؛ محمد عبد المنعم خفاجى: الخفاجيون في التاريخ، (بدون تاريخ)، ص٧٣.

(٥) أبو جعفر الحجاج: كان نائباً عن بهاء الدولة البويهي بالعراق و عزل عام (٣٩٢هـ / ١٠٠١م) و عين مكانه أبا على بن أبى جعفر أستاذ هرمز، مما أدى إلى رفض أبى جعفر الحجاج لذلك، فدخل في حروب مع النائب الجديد. راجع: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ١٧٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ١٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ١،ص ٣٩٣؛ والمدائن: تقع على دجلة من الجهة الشرقية إلى الجنوب من بغداد بمقدار مرحلة، كانت عاصمة الفرس قبل الإسلام.انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان ص ٣٠٣.

(٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٣٦.

خلال القضاء على الخلافة العباسية، وفي هذا الإطار، أخذت في بث الدعاة إلى العراق لإيجاد قاعدة إسماعيلية تساعد إذا ما أرسلوا جيشاً لإتمام الأمر، وقد استطاعوا إيجاد سبل للتفاهم مع الأمير البويهي عضد الدولة، الذي راسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله علانية تحت سمع الخليفة العباسي وبصره، غير أن عضد الدولة قد اكتفي بملاينة الخليفة الفاطمي دون التبعية المباشرة [١]. وقد بلغت جهود الفاطميين ذروتها باقتناع البساسيرى بالقضاء على الخلافة العباسية، بمعونة بنى مزيد و القبائل العربية [٢].

كانت هذه نظرة سريعة على أهم القوى التي عاصرت قيام إمارة بنى مزيد و أثرت سلباً أو إيجاباً كما سوف نرى.

توسع إمارة بنى مزيد:

الحقيقة أن تحديد موضعاً بعينه ليكون أول موطئ قدم لبنى مزيد أمر غير ممكن، و يرى أحد الباحثين، أن بنى مزيد ظهروا في المنطقة الممتدة من الكوفة جنوباً حتى "هيت" شمالاً[٣]، وهو أمر مقبول؛ على أساس أن بنى أسد قد شاركوا في تمصير مدينة الكوفة، وكان من الطبعي أن تنتشر عشائرهم في الحضر، و انتشرت محلاتهم في مثلث يمتد بين مدن واسط و الأهواز[٤] والبصرة، وتعرف المنطقة التي تتوسط هذا المثلث باسم منطقة "ميسان "، وفيها انتشر نفوذ بنى مزيد([٥])، واستناداً إلى رواية ابن الجوزي، فبداية وجود بنى مزيد كقوة فاعلة كان في منطقة نهر سورا ([٦]). ويمكن أن نصف علي بن مزيد في هذه المرحلة بأنه أشبه بالملتزم؛ ذلك أنه كان يتولى حماية نهر سورا، ويقوم بجباية رسوم الحماية من المنتفعين بأراضي المنطقة، مقابل حماية أنفسهم وأموالهم، وان الأمير البويهي في بغداد يحصل على نسبة غير معلومة من رسم الحماية بالإضافة إلى خراج المنطقة[٧].

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ١٢٥.

(٢) حول فتنة البساسيرى، راجع الفصل الثاني من الرسالة ص ٨٩ و ما بعدها .

(٣) Bothworth: Maizad in Encyclopedia of Islam , vol.VI, p966.

(٤) الأهواز: إحدى بلاد إقليم خوزستان، و هي أعظم بلاد الإقليم انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣١٧.

(٥) كركوش الحلي: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ص ١٣ – ١٥.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم،جـ ٩، ص ٢٣٥.

(٧) نفسه، جـ٧، ص ٢ ٢٣؛ ابن كثير البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٤٢٤.

وقد اشتهر الشيخ على بترقبه لكل فرصة يحقق منها أي مكسب، بخاصة الصراعات بين القوى المحيطة به، فاستغل الصراع الداخلي في البيت العقيلى وحاول التوسع على حسابهم[١]، ومع جنوح بنى عقيل إلى التمرد على السلطة البويهية، صدر مرسوم عام (٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م) بمنح الشيخ على بن مزيد مدن الكوفة و قصر ابن هبيرة و الجامعين، بيد أن المصادر لم توضح لنا كيف انتزع " على بن مزيد " هذه المناطق من يد بنى عقيل؟ و هل استطاع الاستيلاء عليها كلها أم استولى على بعضها؟ لكن الأمر الوحيد المؤكد هو المنطقة المحيطة بنهر سورا، ونهر النيل، حتى إنه عندما فشل في الاحتفاظ بالجزيرة الدبيسية[٢] – التي ربما رأها منطقة أرحب للتوسع منها بالنسبة لجنوب الفرات – عاد " على بن مزيد " واستقر في سواد نهر النيل، الذي صار بلا شك ضمن أملاكه، بخاصة أنه عندما عاد إليها لم يجد أي معارضة من أي قوة أخرى[٣]. و مهما يكن الأمر، نخلص إلى أن أملاك بنى مزيد في نهاية عهد الأمير " على الأول بن مزيد " لم تتجاوز مدينة النيل، وما يحيط بها من سواد بالإضافة إلى مدينة الجامعين التي انتقلت إليهم بموجب مرسوم (٣٩٧ هـ / ١٠٠٧) في سنة تالية لهذا العام لم تحددها المصادر.

خلف دبيس الأول والده عام (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م)[٤] غير أنه لم يكن قد تجاوز الرابعة عشر من عمره، و هو الأمر الذي فتح عليه باب الصراع مع أخيه الأكبر " المقلد بن على "، ولم تبين لنا المصادر سبب سعى الأمير "على بن مزيد " لتقليد ولده " دبيس "من بعده [٥] وقد يرجع ذلك إلى صفات توافرت في دبيس لم توجد في أخيه الأكبر، وربما أدرك الأمير " على بن مزيد " رعونة في ولده الأكبر، وهو ما ظهر بعد ذلك في صراع المقلد مع دبيس وتعاونه مع الأعداء في سبيل الوصول إلى زعامة

---

(١) الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص ٣٠٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ١٣٤، ١٣٥

(٢) الجزيرة الدبيسية: هي منطقة الحويزة وما حولها من أرض، و سميت بالجزيرة الدبيسية نسبه إلى دبيس بن عفيف الأسدي، الذي استقر بها، و هي موضع في وسط البطائح، بين واسط والبصرة و خوزستان.راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٧٣.

(٣) حول صراعات على بن مزيد و بنى عمومته راجع الفصل الثاني، ص ٧٩ .

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٨٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣٠٤.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٨٩.

بنى مزيد[١].

ورغم ما عاناه " دبيس بن مزيد " من صراعاته مع أخوته، إلا أنه خرج من هذه الصراعات بشعبية كبيرة في أوساط بنى أسد، و قوة عسكرية لا بأس بها، وهو ما رفع مكانة الأمير" دبيس بن مزيد " لدي الملك الرحيم البويهي[٢] الذي رغب في الاستفادة من قوة "دبيس بن مزيد" ونفوذه في الأوساط الأسدية والشيعية، في وقت تصاعدت فيه الفتن داخل البيت البويهي فمنح الملك الرحيم إقطاع سوادى نهرا الفضل والصلة -من أنهار البصرة- للأمير دبيس بن علي عام (٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م)[٣].

ولم يكن طغرلبك[٤] السلطان السلجوقى أقل إدراكاً لقوة " دبيس بن مزيد " من الملك الرحيم، و رغم مشاركة " دبيس بن مزيد " في ثورة البساسيرى إلا أن طغرلبك قد أقره على أملاكه بعد انتهاء الفتنة، وهو أكبر مكسب حصل عليه دبيس.ولم يكن من المنتظر في ظل قوة السلاجقة أن يستمر دبيس في توسعه .

توفي " دبيس بن مزيد " عام (٤٧٤ هـ / ١٠٧٩ م) تاركاً ولده منصور على دست الحكم في إمارة بنى مزيد[٥]، وكان عهد منصور عهد استقرار وهدوء، وصل فيه السلاجقة إلى ذروة مجدهم، لذلك لم نسمع عن أي توسعات جديدة في عهد منصور، الذي توفي بعد خمس سنين فقط من ولايته عام (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م)[٦].

---

(١) حول تفاصيل الصراع بين دبيس و أخيه راجع الفصل الثاني من الرسالة، ص ٨٣

(٢) الملك الرحيم: هو أبو نصر خسرو فيروز الملقب بالملك الرحيم بن الملك البويهي أبى كاليجار، تولى الملك خلفاً لوالده عام (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)، و ظل يحكم حتى عام (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) حين قبض عليه طغرلبك، عقب دخوله بغداد و أنهي وجود دولة بنى بويه. ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٥٤٧، ٦١٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص ٥٥٧، ٥٥٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٥٤٥.

(٤) طغرلبك: هو السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، وهو أول سلاطين السلاجقة، و المؤسس الحقيقي لسلطنتهم، تمكن من القضاء على الدولة البويهية الشيعية، و حل محلها في التغلب على الخلافة العباسية، و قد لقي ترحيباً من الخلافة لمذهبه السني، توفي عام (٤٥٥ هـ / ١٠٥٣ م) و عمره سبعين عاماً. ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٣٣، ٢٣٤؛ انظر أيضا: Bernard Lewis: the Arab history , London , 1960 , p 147.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٣٣٣ ؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ١٢١، ١٥١؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٣٥.

(٦)ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ١٥٠، ١٥١، ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٥٨٨، ٥٨٩.

أما عصر الأمير "صدقة الأول بن منصور" فهو بحق العصر الذهبي لإمارة بنى مزيد، ذلك أن الإمارة بلغت في عصره أقصى اتساع لها[١] و يمكن أن نصف عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور" بأنه عصر التغلب الحقيقي، ذلك أن الفترة السابقة لم يتعد دور إمارة بنى مزيد فيها دور القوة الحاجزة التي تحمى سواد جنوب الفرات من هجمات البدو، وقد أحسن صدقة استغلال ظروف عصره الذي اتسم بنهاية عصر الوحدة السلجوقية، واشتعال نار الفتنة والحروب الأهلية بين أفراد البيت السلجوقي؛ تنافساً على كرسي السلطنة بين السلطان بركياروق وأخيه محمد بن ملك شاه[٢]، فوضع الأمير "صدقة الأول بن منصور" مخططاً هدفه بناء دولة واسعة مستغلاً صراعات البيت السلجوقي، وفي إطار هذا المخطط استولى على كثير من الجهات.

وكانت "الكوفة" هي أول مكاسب الأمير "صدقة الأول بن منصور" في إطار خطته الجديدة، وكان من الطبعي أن يتعلق نظر صدقة بتلك المدينة، ومرجع ذلك إلى أمرين: أولهما ديني، فهي مركز تجمع الشيعة، و الآخر عسكري؛ ذلك أنها ظهير طبيعي لأملاك بنى مزيد في سواد نهر سورا، وبالاستيلاء على الكوفة يكون قد أحكم قبضته على جنوب الفرات، لذا استغل فرصة خلافه مع السلطان بركياروق – بسبب الأموال الضخمة التي طلبها – و سارع بضم الكوفة إلى حوزته عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠ م)[٣].

أما ثاني المدن التي استولي عليها الأمير صدقة فكانت واسط، فعقب استيلاء صدقة على الكوفة أخذ يترقب الفرص للحصول على مكسب جديد حتى واتته الفرصة

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بنى مزيد بالقوى السياسية في العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد السابع، ١٩٨٧، ص ١٨٤.

(٢) بركياروق هو الابن الأكبر للسلطان ملكشاه تولي منصب السلطنة عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) و نافسه أخوه محمد بن ملكشاه و هو أبو شجاع غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي نافس أخيه السلطان بركياروق علي منصب السلطنة ودارت بينهم حروب انتهت بالصلح عام (٤٩٧هـ/١١٠٣م) ثم انفرد السلطان محمد بسلطنة السلاجقة عقب وفاة السلطان بركياروق في العام التالي، وتوفي السلطان محمد عام (٥١١هـ/ ١١١٧م) راجع ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ص ١٦٣-١٦٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٠٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٥٩٩ ؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، جـ ٢، ص ٦١، كركوش الحلي: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ٢٠.

عام (٤٩٦ هـ / ١٠١٢ م) في وقت وصل فيه الصراع بين الأخوين السلطان بركياروق و أخيه محمد إلى ذروته، وكانت بغداد في يد السلطان محمد فأرسل السلطان بركياروق القائد التركي كمشتكين القيصري[١] شحنة[٢] لبغداد في وقت كان فيه إيلغازى بن أرتق[٣] شحنة من قبل السلطان محمد بن ملكشاه، فوقف الأمير "صدقة الأول بن منصور" إلى جانب إيلغازى بن أرتق و أشاعا حالة من عدم الاستقرار في بغداد حتى أخرج كمشتكين صاغراً منها[٤]، غير أنه سار إلى واسط، فتبعه جند الأمير "صدقة الأول بن منصور" وإيلغازى، وهاجم الأميران المدينة معاً مما جعل كمشتكين يؤثر السلامة ويفر منها بعد أن أدرك أن لا طاقة له بإيلغازى والأمير "صدقة الأول" مجتمعين، فدخل الأميران المدينة وترك كل منهما نائباً عنه فيها[٥].

وفي العام التالي حالف الحظ الأمير "صدقة الأول بن منصور" بتحول ولاء إيلغازى إلى السلطان بركياروق وهو ما استفاد منه الأمير "صدقة الأول ابن منصور"، وطرد جند إيلغازي من واسط [٦] و انفرد بها، الأمر الذي جعلها في يد مهذب الدولة[٧] صاحب "البطائح" نائباً عنه فيها[١].

---

(١) كمشتكين القيصري: هو أحد قادة السلطان بركياروق الأتراك الثقات عهد إليه بركياروق بمنصب الشحنة في بغداد عام (٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م) لكنه فشل في الاحتفاظ به وعاد إلى سيده خائباً.را جع: ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) الشحنة: هي وظيفة استحدثها السلاجقة، وكان صاحبها يعين من قبل السلطان، وهي أشبه ما تكون بوظيفة الحكمدار، يتمتع شاغلها بسلطات شرطية وإدارية، فهو المسئول عن إدارة المدينة والمحافظة على أمنها.راجع: حسين أمين: الإدارة في العراق في العصر السلجوقى، مجلة سومر، العدد العشرون، بغداد، ١٩٦٤، ٢٢٠.

(٣) عن إيلغازى بن أرتق راجع الفصل الثالث، ص١٨٦

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٣٤، ١٣٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٥٥، ٣٥٦،؛ عبد القادر المعاضيدى: واسط في العصر العباسي، بغداد، ١٩٨٣، ص ٨٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٥٦، ٣٥٧، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ٩٧، ابن كثير: البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٦٥٩.

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٧١؛ أبى البقاء: المناقب المزيدية، جـ ٢، ص ٤٧٦.

(٧) مهذب الدولة: هو مهذب الدولة السعيد بن أبى الجبر، حاكم البطائح، خلف والده في حكمها، و عظم أمره وتزوج منصور بن صدقة إحدى بناته فزاد عزه، لكن لم يدم العز بسبب سوء تصرفه في أموال خراج واسط،

أما ثالث المدن التي استولى عليها الأمير "صدقة الأول بن منصور" في إطار مخططه التوسعي؛ فقد كانت مدينة هيت[٢]، وإذا كان صدقة استولى على الكوفة وواسط، مستغلاً خلافه مع السلطان بركياروق، فقد استولى على هيت، بسبب مشاكل المصاهرة؛ ذلك أن هيت كان يحكمها "ثروان بن وهيب"، وهو من موالى السلطان بركياروق، فأرسل إلى صدقة طالباً مصاهرته غير أن طلبه قوبل بالرفض وهو ما أثار حقد ثروان على الأمير "صدقة الأول بن منصور" فتآمر عليه مع بنى عقيل، لكن الأمير صدقة لم يترك الفرصة تضيع منه، واستغل فرصة عودة ثروان من الحج وقبض عليه عام (٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م) و أجبره على التنازل عن المدينة بوثيقة كتبت بخطه، لكن قائد جند المدينة رفض تسليمها لدبيس بن صدقة؛ مما دفع الأمير صدقة إلى الخروج بنفسه على رأس قوة محدودة استولت على هيت في يوم واحد، ثم عين عليها نائباً عنه وعاد إلى الحلة [٣].

ولم يكن الاستيلاء على هيت آخر حلقات توسع إمارة بنى مزيد بل امتد نفوذ الأمير "صدقة الأول بن منصور" إلى مدينة الحديثة[٤] وعانة[٥] وقد جاء استيلاء صدقة عليهما بدعوة من أهلهما، الذين استنجدوا به خوفاً من نهبهما على يد بهرام بن أرتق[٦] الذي حاصرها، فسارع صدقة وبسط سلطانة عليهما عام (٤٩٧هـ/ ١١٠٣

فسجنه صدقة، ثم أطلقه بشفاعة منصور بن الأمير "صدقة الأول " .راجع: ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٣٥.

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٧٧؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، جـ ٢، ص ٦١، عبد القادر المعاضيدى: واسط، ص ٨٨.

(٢) عن مدينة هيت راجع ص ٢٦حاشية ٤.

(٣) أبى البقاء:المناقب المزيدية: جـ ٢، ص ٥٠٥؛ ابن الأثير الكامل، جـ ١٠، ص ٣٥٨، ٣٥٩؛؛ ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص ٦٠١؛ مسفر الغامدى: الجهاد ضد الصليبيين حتى قيام الدولة الأيوبية، جدة، ١٩٨٥، ص ٦٨ .

(٤) الحديثة: تعرف بحديثة النورة، وتقع على فرسخ شمال الأنبار، ولها قلعة عظيمة على جزيرة في الفرات، وتبعد الحديثة عن عانة نحو ميل، فيمل يقابل تكريت (ياقوت الحموي: معجم البلدان: جـ ٣، ص ٢٢٣؛ لستر نج: بلدان الخلافة، ص ٨٩).

(٥) عانة: هي جزيرة في وسط الفرات، بين الرقة و هيت، وهي من بلاد الجزيرة، ولها قلعة حصينة (ابن سعيد: بسط الأرض، ص ٨٩).

(٦) بهرام بن أرتق: هو أحد أخوة إيلغازى بن أرتق، و كان ولده بلك بن بهرام من أعظم جنود الإسلام

م)[1].

ومن أهم المدن التي استولى عليها الأمير "صدقة الأول بن منصور"، مدينة البصرة، التي لم يكن الاستيلاء عليها بالأمر الهين، في ظل خضوعها لأمير قوى هو إسماعيل بن أرسلان، الذي حكم البصرة لمدة عشر سنين متصلة، استطاع خلالها إنشاء قوة عسكرية لايستهان بها، كما بنى عدة قلاع، فاعتقد في نفسه القوة، فامتنع عن إرسال الخراج إلى السلطان بركياروق مستغلاً صراعه مع أخيه محمد، ولما أيقن السلطان محمد من قوة الأمير "صدقة الأول بن منصور" عهد إليه باستخلاص البصرة من يد إسماعيل[2].

ومن الواضح أن صدقة كان مدركاً لقوة إسماعيل لذا لم يبدأ باستخدام القوة ضده، بل أرسل حاجبه إليه يطلب تسليم المدينة لمهذب الدولة - صاحب البطائح – بيد أن إسماعيل طرد الحاجب، فلم يجد "صدقة " بداً من القوة فسار على رأس جيش كبير واتبع أسلوب المناورة، فأذاع أنه خارج بجيشه إلى الرحبة[3] ثم فاجأ مدينة البصرة بالهجوم والحصار، مما دفع إسماعيل إلى القبض على أشراف العباسيين والعلويين وهدد بقتلهم إن لم يتراجع الأمير "صدقة الأول بن منصور" عن المدينة [4].

وقد ظهرت مهارة الأمير "صدقة الأول بن منصور" الحربية في هذا الحصار، مما زعزع مقاومة إسماعيل الذي اضطر في ظل نزيف القتلى المستمر إلى الاستعانة بالفلاحين الذين لا يجيدون القتال، وهو الأمر الذي زاد من ارتباك إسماعيل، في نفس الوقت قام أحد حلفاء صدقة، وهو مهذب الدولة بالاستيلاء على قلاع إسماعيل الذي لم يجد بد من إخلاء المدينة فأحرقها وتركها كومة من الرماد بفعل حريق تعمده -

---

المقاومين للصليبين (ابن العديم: زبده الحلب، جـ ٢، ص ٢٠٣).

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٦٨؛ عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بنى مزيد، ص ١٨٠

(٢) ابـن الأثيـر: الكامـل، جــ ١٠، ص ٤٠٢؛ ابـن خلـدون: العبـر، جــ ٤، ص ٦٠٢؛ أبـى البقـاء: المناقـب المزيدية، جـ٢، ص ٥٠٢.

(٣) الرحبة: مدينة على الفرات بين الرقة وعانة، وهي بلدة صغيرة و لها قلعة على تل ترابي، وتعد محطة للقوافل بين العراق والشام.انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٠٣؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٠٣.

إسماعيل - حتى لا يستفيد الأمير صدقة شيء من أموال البصرة[١].

لم يعارض السلطان محمد بن ملكشاه فتوحات الأمير "صدقة الأول بن منصور" السابقة؛ ذلك أنها من الناحية الاسمية إضافة إلى أملاكه بحكم تبعية صدقة له، أما هذه المرة فقد اختلف الأمر، فقد توجهت أنظار الأمير "صدقة الأول بن منصور" إلى انتزاع مدينة تكريت من يد أحد نواب السلطان محمد، وقد عانت مدينة تكريت في الفترة السابقة لسيطرة الأمير "صدقة الأول بن منصور" عليها من حالة عدم الاستقرار نتيجة تعرضها مرات عديدة على فترات متقاربة للسلب والنهب من قبل "سقمان بن أرتق "[٢] الطامع في الاستيلاء على المدينة، كما عانى أهل المدينة من الجبايات الفادحة من قبل "حاكمها كيقباذ بن هزار سب الديلمى"[٣] الذي حكم المدينة اثنتي عشر سنة متصلة، أذاق فيها أهل المدينة سوء العذاب، وهو ما دفع السلطان محمد إلى إرسال "آق سنقر البر سقى"[٤] شحنة لبغداد لاستخلصها منه فحاصر آق سنقر المدينة سبعة شهور بلا طائل، و مـــــــــــــع شعور قيقباذ بالضعف راسل الأمير "صدقة الأول بن مزيد " وسلم المدينة له عام (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م)[٥].

كانت تكريت هي آخر حلقة في سلسلة توسعات الأمير صدقة الأول، التي امتدت من تكريت شمالاً حتى عبدان[٦] جنوباً. ولم تكن تلك الإمارة الواسعة مجرد دلالة على حسن قيادة الأمير صدقة وإدارته بقدر ما هي إفراز لعصر تمزقت فيه وحدة

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٠٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٠٣؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، جـ ٢، ص ٦٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن سقمان بن أرتق، راجع الفصل الثالث، ص ١٧٦ .

(٣) كيقباذ بن هزار سب الديلمى: كان أمير على مدينة تكريت، وصف بسوء السيرة، و كان يعتنق الفكر الباطني، توفي عام (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م). ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤١٩، ٤٢٠.

(٤) آق سنقر البر سقى: كان مملوكاً للأمير برسق من موالى السلطان ملكشاه، ترقى به الحال حتى صار والياً على بغداد، و قد اشتهر بالعدل و اللين و حسن العشرة.راجع: ابن العديم: بغية الطلب من تاريخ حلب، جـ ٧، تحقيق د. سهيل ذكار، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٩٦٣، ١٩٦٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٦، ص ٣٦٣؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ٢، ص ٢٥.

(٦) عن عبادان راجع ص ٢ حاشية ٣.

الإمبراطورية السلجوقية.

وهناك عدد من الحقائق تبرز من استعراض هذا التوسع أولها: أن هذا التوسع امتاز بظاهرة القفز الضفدعية Leap-Forging [١] أو بعبارة أخرى وثبات، بمعنى أنه لم يكن متصلاً بدءاً من نقطة ثم استمر في اتجاه واحد وخط متصاعد، لكنه قفز من منطقة إلى أخرى دون تقيد باتجاه واحد، أما ثاني هذه الحقائق فهو أن هذا التوسع تم في وقت تمزقت فيه وحدة الإمبراطورية السلجوقية، وثالث الحقائق هي الضعف الشديد الذي عانت منه الإمارة من ناحية الجغرافيا السياسية؛ بسبب عدم اتصال بلادها، مما ساعد على سرعة انتزاع أملاك الإمارة، عندما واتت السلطان الفرصة.

و مهما يكن من أمر فسرعان ما أفل نجم الأمير "صدقة الأول"، حين هوى بضربة سيف من أحد جنود السلطان محمد بن ملكشاه، في معركة النعمانية (٥٠١ هـ / ١١٠٧ م)[٢] وكان ذلك إيذاناً بانفراط عقد إمارة بنى مزيد. وكان السلطان محمد قد بدء في استرداد المدن الخاضعة لإمارة بنى مزيد منذ عام (٤٩٩هـ/ ١١٠٥ م) حين استعاد مدينة البصرة من يد الأمير "صدقة الأول" عندما عجز نائبه بها عن دفع البدو عن المدينة، فسارع السلطان بإرسال قوة عسكرية طردت جنود الأمير "صدقة الأول" منها[٣]، ومع تحول المواجهة بين السلطان محمد بن ملكشاه والأمير "صدقة الأول" إلى الصدام المباشر أرسل السلطان قوة عسكرية استولت على مدينة واسط عام (٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) [٤]، أما باقي أملاك الأمير "صدقة الأول" فلم تذكر لنا

---

(١) جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار و التحرير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ٤٩ ؛ راجع خريطة توسع إمارة بنى مزيد، شكل رقم [٢].

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص ١٥٦، ١٥٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٤٨؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨، ص١٥٩؛ أبو الفدا: المختصر، جـ ٢، ص ٢٢٢؛ سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، القسم الأول من الجزء الثامن، ص ٢٥؛ ابن كثير: البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٦٦٦؛؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ ٤، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٣، ص ١٩٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٠٩؛ موقع الأعلام على الإنترنت بعنوان، http//:www.history.al-islam/names.asp?year=501

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص ١١٠؛ ابن خلدون العبر، جـ ٤، ص ٦٠٢، ٦٠٣ .

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ١٤٤، ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٠٨؛ عبد القادر المعاضيدى: واسط

المصادر كيف استولى عليها السلطان بالتفصيل، لكن المؤكد أن السلطان محمد ابن ملكشاه قد بسط عليها نفوذه بعد مصرع الأمير "صدقة الأول". غير أن السلطان لم يسع إلى سحق نفوذ بنى مزيد بصورة كلية؛ لذلك لم يتوجه بعد معركة النعمانية إلى مدينة الحلة[١] بل عين سعيد بن حميد[٢] الخفاجى – القائد العام لجيش صدقة – حاكماً على الحلة، وقد علل أحد الباحثين سبب تولية سعيد للحلة بإدراك السلطان أن جمهور الحلة لن يقبل حاكماً غريباً عليها؛ لذلك جاء اختيار سعيد، وبالتالي لم تشهد الحلة ثورة عامة ضد السلطان محمد [٣].

أما عن مصير أسرة صدقة بعد موقعة النعمانية، فقد وُضع دبيس في الأسر، أما "بدران بن صدقة" [٤] فقد سارع إلى الحلة وحمل نسائه ونساء أبيه وفر بهن إلى البطائح؛ خشية وقوعهن في الأسر [٥]. وبعد مدة قصيرة أرسل السلطان إلى زوجة الأمير صدقة في البطائح مرسوماً بالأمان، فسارت إلى بغداد فأطلق لها الأمير دبيس بن صدقة ومنحه تقليداً بأملاك أبيه، لكن السلطان حرص على بقاء دبيس في بغداد خشية سعيه إلي الثأر لأبيه. فبقى بها حتى عام (٥١١هـ / ١١١٨ م) حين سمح له السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه[٦] بالعودة إلى الحلة[٧]. عندما عاد الأمير "دبيس

في العصر العباسي، ص ٨٩.

(١) ابن الأثير الكامل: جـ ١٠، ص ٤٤٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٠٩.

(٢) سعيد ابن حميد: هو رجل من بنى خفاجة، دخل في خدمة الأمير صدقة، ترقى به الحال، حتى صار قائداً عاماً لجيش إمارة بنى مزيد.راجع: ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٤٤.

(٣) كركوش: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ٣٢.

(٤) بدران بن صدقة: هو أحد أبناء الأمير صدقة بن منصور، ترك العراق عقب مصرع أبيه عام (٥٠١هـ / ١١٠٧م) و سار إلي الشام ثم مصر وتوفي بها عام (٥٠٢هـ / ١١٠٨م) (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ٣٢).

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٤٨.

(٦) السلطان محمود السلجوقى: هو محمود بن محمد بن ملكشاه، خلف والده في سلطنة سلاجقة العراق عام (٥١١هـ / ١١١٣ م)، ولى السلطنة اثنى عشرة سنة، وصف بالحلم والكرم والعقل، توفي عام (٥٢٥هـ / ١١١٣ م).راجع: الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ١١٤ – ١٤٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ص ٥٢٥ – ٦٦٩.

(٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٥٣٣؛ الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥١١؛ ابن كثير: البداية و النهاية، جـ ٩، ص ٦٨١.

بن صدقة" حكم ما تبق من ملك أبيه، ويبدو أن ما أعيد إليه هي أملاك أبيه قبل بداية حركته التوسعية والتي تمثلت في المناطق المحيطة بنهر سورا و نهر النيل وسوادة ومدينة الكوفة [١].

وعقب عودة الأمير "دبيس بن صدقة" إلى إمارته سعى إلى استعادة ما فقده بمصرع أبيه، مستغلاً الصراع الذي نشب على منصب السلطنة [٢] بين السلطان محمود السلجوقى وأخيه مسعود[٣] معتقداً أنه يستطيع أن يتوسع على حساب السلاطين في فترات نزاعاتهم كما فعل والده صدقة من قبل [٤] بيد أن الأمير "دبيس بن صدقة"لم يستطع تحقيق حلمه، وزاد على ذلك هروبه من الحلة إلى ايلغازى بن أرتق[٥] و اتخذ من قـــــــــلعة جعبر [٦] قاعدة لاسترداد إمارته فأرسل جيشاً بقيادة أخيه منصور بن صدقة استعاد الكوفة، وسار إلى البصرة في وقت عاد فيه دبيس إلى الحلة، لكنه لم يستطع الصمود أمام قوات السلطان محمود السلجوقى، ففر الأمير "دبيس بن صدقة" إلى إيلغازى بن أرتق، الذي بذل جـهداً كـبيراً حـتى حـصل لـه على عفو من السلطان عـام (٥١٥ هـ / ١١٢١ م)[٧] إلا أن الـخـلـيفة المسترشد ([٨]) لم

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٥٦١؛ سبط بن الجوزى: مرآة الزمان،جـ ٨، ق ١، ص ٦٩.

([٢]) لمزيد من التفاصيل عن هذا الصراع راجـع الفصل الثالث، ص .

(٣) السلطان مسعود: هو "مسعود بن محمد بن ملكشاه"، نازع أخيه السلطان "محمود" السلطنة، ثم داود بن محمود، الذي اتفق معه على اقتسام السلطنة عام (٥٢٦ هـ / ١١٣١م) لكن الصراع لم ينته؛ إذ دخل في صراع على السلطنة مع "طغرل بن محمد بن ملكشاه " الذي ساند السلطان سنجر، لكن وفاة داود عام (٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م) مكنت السلطان "مسعود" من الانفراد بسلطنة سلاجقة العراق .انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٦٧٤.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢١٨ ؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٥٦٢؛ سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١، ص ٩٠؛ النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢٧، تحقيق د. سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٨.

([٥]) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠ ص ٥٦٥.

([٦]) قلعة جعبر: هي قلعة تقع علي الفرات بين الرقة وبالس.راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٧، ص ١٥٠.

(٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٥٦٦؛ كركوش: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ٣٦.

(٨) الخليفة المسترشد بالله: هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله، امتدت خلافته بين عامي (٥١٢هـ/ ١١١٨ م) و عام (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) عاش مدة خلافته يجاهد لإعادة مجد الخلافة العباسية مما أدى إلى

يكن مطمئناً للأمير "دبيس بن صدقة"؛ لذلك رفض الصلح إلا أن يولى السلطان آق سنقر البرسقى شحنة على بغداد ليكون في الدفاع عنها إذا ما هاجمها الأمير "دبيس بن صدقة" [١]، الذي لم يبق في "الحلة" طويلاً بسبب سياسته العدوانية تجاه الخليفة المسترشد والسلطان محمود، فهرب إلى الشام وبقى في حالة من عدم الاستقرار حتى قتل عام (٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م)[٢]

خلف دبيس بن صدقة ولده "على الثاني بن دبيس" الذي دخل في طاعة السلطان السلجوقى مسعود بن محمد، وصاهره، إلا أنه قتل عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م)، فقام السلطان مسعود بتولية "محمد بن دبيس"[٣] وأبقى أخاه "على بن دبيس" في بغداد تخوفاً منه لتطلعه إلى استعادة مجد بنى مزيد، لكنه هرب عام (٥٤٠ هـ/١١٤٥م) واستعاد الحلة[٤]، وقد ظل الخلاف لمدة بين الأمير "على الثاني " والسلطان مسعود،حتى أدرك الأمير على بن دبيس أن لا طاقة له بالسلطان؛ لذلك جنح إلى الطاعة عام (٥٤٤هـ/١١٥٠م)[٥] وتوفي في العام التالي (٥٤٥هـ/١١٥٠م) في مدينة أسد أباد[٦] وبموته لفظت إمارة بنى مزيد أنفاسها الأخيرة، وصارت الحلة تحت الإشراف المباشر للسلطان السلجوقى[٧].

تمصير[٨] مدينة الحلة[١]:

اصطدامه بسلطنة السلاجقة، مما أدى إلى سعى السلاجقة للخلاص منه على يد أحد الباطنية عام (٥٢٩هـ / ١١٣٤م).راجع: ابن طباطبا: الفخري، ص ٣٠٢، ٣٠٣؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤١، ٣٤٢ .

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٥٨٩؛ كركوش: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ٣٦.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ١٠، ص ٥٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١١؛ ص ٣٠؛ الأصفهاني: مختصر تاريخ آل سلجوق، ص ١٦٦؛ ابن كثير: البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٧١٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٢٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ١١، ص ٦٠، ٦١؛ ابن خلدون العبر، جـ ٤، ص ٦٢٢ ٠

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ١١، ص ١٠٥.

(٥) نفسه، ص ١٤٣؛ ابن الجوزى: المنتظم، جـ ١٠، ص ١٤٦.

(٦) أسد أباد: هي بليدة على منزل من همذان، تعد من قرى بيهقق من أعمال نيسابور (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤١٧).

(٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ١١، ص ١٣٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٢٥.

(٨) تمصير: مَصَر القوم المكان، أي جعلوه مصراً، وتمصر المكان أي صار مصراً، والمصر هو المدينة الكبيرة تقام فيها الدور و الأسواق والمرافق العامة(مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوجيز، ص

ارتبطت نشأة كثير من المدن ببعض الأساطير، ومن بينها مدينة الحلة؛ ويرجع ذلك إلى أهمية الحلة لدي جمهور الشيعة الإمامية؛ لما وُجد بها من كبار علماء الشيعة، حتى قيل أن الإمام على – كرم الله وجهه – تنبأ ببناء مدينة الحلة؛ إذ رُوى أن الإمام على - وهو في طريقه إلى موقعة صفين [٢] - وقف على تل قرب بابل، وأشار إلى أجمة ما بين بابل والنيل وقال: " مدينة وأي مدينة" فقال تابعة:"يا مولاي أراك تذكر مدينة، أكان هنا مدينة وانمحت آثارها"، فرد عليه الإمام على قائلا: "لا ستكون هنا مدينة يقال لها الحلة السيفية[٣] ينشأها رجل من بنى أسد ويظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبر قسمه"[٤]، هذه الرواية رغم ما بها من طابع أسطوري، إلا أنها دلالة على مكانة مدينة الحلة في الأوساط الشيعية.

ويعد بناء مدينة الحلة من أهم الأحداث في تاريخ بنى مزيد، ذلك أنها ذات دلالة على جدية سعى الأمير " صدقة بن منصور " - رابع أمراء بنى مزيد – إلى الانتقال بعشيرته من طور البداوة والترحال إلى طور الحضارة والاستقرار، وقد تم هذا البناء عام(٤٩٥هـ/ ١١٠١م)[٥] ليكون فاصلاً بين مرحلتين واضحتين من تاريخ إمارة بنى مزيد، المرحلة الأولى التي سبقت بناء الحلة، لم يتعد دور الإمارة فيها دور الإمارة الحاجزة التي تمنع هجمات البدو عن سواد جنوب العراق، أما المرحلة الثانية فهي

---

٥٨٤).

(١) الحلة: بالكسر والتشديد، هي القوم النزول المستقرين في مكان وجماعة بيوت الناس وجمعها جِلال وأجِلة و هي عدة أماكن أشهرها حلة بنى مزيد (ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٢٢؛ عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ ١، ص ٤١٩).

(٢) صفين: هي موضع قرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة و بالس، وكانت بها موقعة صفين بين الإمام على ومعاوية بن أبى سفيان سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧ م).راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٥، ص ٣٧٠؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٧٥ .

(٣) الحلة السيفية نسبه إلى سيف الدولة صدقة الأول.

(٤) السيد محسن أمين الحسيني: أعيان الشيعة، جـ ٣٠، ص ٤١٧.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٥١؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٢٢؛ عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ ١، ص ٤٠٩؛ لستر نج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٧؛ عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بنى مزيد، ص ١٨٧؛ السيد محسن الحسيني: أعيان الشيعة، جـ ٣٠، ص ٤١٧.

المرحلة التالية لبناء الِحلة، التي اتجه فيها الأمير "صدقة الأول " إلى الانتقال من دور الغفارة إلى دور التغلب الفعلي، وقد أدرك الأمير"صدقة" أن هذا لا يتم إلا بوجود قاعدة ثابتة ينطلق منها لتحقيق مآربه[١].

ويمكننا أن نؤكد على الوظيفة الحربية لمدينة الحلة؛ ذلك أنها مثل المدن العربية الإسلامية الأولى مثل الكوفة وواسط، التي نشأت للسيطرة على المنطقة المحيطة بها، وتكون منطلقاً للغزو والتوسع [٢].و لم تكن الحلة أول موضع اختاره الأمير صدقة ليكون عاصمة لإمارة بني مزيد بل توجه نظره إلي البطائح التي كان يعلم مداخلها ومخارجها كأحد أهلها، لذلك حاول اتخاذ أحد التلال العالية مقراً له، وبنى عليها ما يشبه القلعة حتى تكون عاصمة له من سلاطين السلاجقة، لكنه سرعان ما أدرك أن البطائح لا تصلح أن تكون مقراً للحكم والإمارة؛ بسبب صعوبة التحرك في البطائح، واستحالة التوسع العمراني بها، لذلك بحث عن مكان آخر يحقق أهدافه، فلم يجد خير من موقع الحلة [٣].

ويبدو أن صدقة خرج من تجربته الأولى بالشروط الواجب توافرها في بناء المدن، وحتى نتبين مدى إدراكه لهذه الشروط، فسوف نبحث في مدى توافرها في مدينة الحلة بناء على ما حدده اثنان من المصادر الإسلامية أولها: "سلوك المالك " لابن الربيع وهو من المصادر المبكرة، أما الآخر فهو "المقدمة " لابن خلدون، وهو من المصادر المتأخرة. أول هذه الشروط هو حصانة موقع المدينة وتوفر الحماية لها من الأعداء وضمان سهولة المرافق، وذلك يتم ببناء سور يحيط بمنازلها، ويكون موضعها في مكان عال فوق هضبة، أو تكون في حماية نهر أو بحر، بحيث لا يصل إليها العدو إلا بعبور جسر أو قنطرة[٤]، وكان الأمير صدقة إلى حد كبير مدركاً لهذا

---

(١) عماد الدين خليل: ملاحظات حول خطط الحلة حتى الحكم الجلائرى، مجلة كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الرابع، ١٩٧٢، ص ٣٦.

(٢) جمال حمدان: جغرافية المدن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٤.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٣٢.

(٤) ابن الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، مطبعة كردستان، القاهرة، ١٣٢٩ هـ، ص ٩٣؛ ابن خلدون: المقدمة، الإسكندرية، (بدون تاريخ)، ص ٢٤٤.

الشرط، فكما ذكرنا كان هدفه ومسعاه هو البعد عن يد السلطان السلجوقى إذا ما سعى إلى طلبه ومن ثم اختار موضع مدينة الحلة في منطقة تقع إلى الغرب من نهر سورا قبالة مدينة الجامعين المندثرة[١] إلى الجنوب من أطلال مدينة بابل القديمة[٢]، وبذلك يتعذر الوصول إليها إلا بعد عبور جسر أو اتخاذ قارب للعبور[٣]، وبالتالي تمتعت الحلة بالحماية الطبيعية. كما وفر لها الأمير صدقة الحماية البشرية ببناء سور أحاط بالمدينة على هيئة مستطيل بنى من اللبن، وإلى الخارج من السور حفر خندقاً من الجهات الشمالية والجنوبية و الغربية، أما الجهة الشرقية فيقابلها نهر سورا [٤]، وبذلك يكون شرط الحماية قد توفر لموقع مدينة الحلة طبيعياً وبشرياً.

أما ثاني الشروط الذي شدد عليه كل من ابن الربيع[٥] وابن خلدون[٦] فهو اعتدال المناخ وطيب الهواء حتى لا تكون المدينة عرضة للأوبئة وقد شدد ابن خلدون على ضرورة ابتعاد المدن عن المستنقعات حيث تكثر الأمراض، وقد أدرك الأمير صدقة ضرورة توافر هذا الشرط بعد تجربته الأولى في البطائح؛ ذلك أن جوها مشبع بالرطوبة مما يزيد من الشعور بالحرارة، بالإضافة إلى كثرة المستنقعات مما يسهل انتشار الأوبئة؛ مما حال دون إنشاء العاصمة في هذا الموضع، ومن هنا جاء اختيار موضع مدينة الحلة في موقع متميز معتدل المناخ ويؤكد ذلك ما ذكره ابن جبير[٧] من اتصال النخيل بالحلة، وما ذكره ابن حوقل من توافر الكروم والفواكه حولها [٨].

أما ثالث الشروط التي حددها ابن الربيع[٩] وأكد عليه ابن خلدون[١٠] فهو توافر

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٢٣.

(٢) جمال حمدان: المدينة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢١٤.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٣٦.

(٤)ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٣٦؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ٢١٤.

(٥)ابن الربيع: سلوك المالك، ص ٩٣.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٤٤.

(٧) رحلة ابن جبير، ص ١٨٠.

(٨) ابن حوقل:صورة الأرض، ص ٢١٤.

(٩) سلوك المالك، ص ٩٣.

(١٠) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢١٤.

الماء العذب؛ حتى لا يحول بين سكان المدينة وبين الماء حائل. ومن أول نظرة إلى موضع مدينة الحلة يدرك المرء توافر الماء العذب، ولم لا والحلة تقع على الضفة الغربية من نهر سورا، و في نفس الوقت لا يبعد عنها مجرى الفرات القديم كثيراً إلى الغرب من المدينة و المسمى بشط الكوفة[١].

أما رابع الشروط فهو توافر المزارع والحدائق والأخشاب؛ للوقود والبناء سواء للسقوف أو الأبواب[٢] وهذا الشرط أيضاً كان متوافراً، فحدائق النخيل منتشرة في كل مكان، كما تتوافر الكروم والفواكه بأنواعها[٣] كما أن الحطب متوافر، فلم يحدث أن عانت الحلة يوماً من نقص الحطب، يضاف إلى ذلك قرب الحلة من مدينة بابل القديمة، وهو ما ساعد على الاستفادة من أطلال بابل في توفير الأحجار اللازمة للبناء[٤].

أما خامس الشروط فهو توافر المراعى[٥] وهو أمر لم يتوفر في مكان مثلما توفر لمدينة الحلة وما حولها، فالمراعى العشبية الطبيعية تحيط بالحلة من كل مكان، والمراعى الصحراوية ليست بعيدة عنها فمجرد عبور شط الكوفة تظهر الصحراء[٦] وبالتالي فالمراعى متوفرة للمدينة مما يثرى الحلة بالثروة الحيوانية بجانب الثراء الزراعي.

وقد أكد ابن خلدون[٧] ضرورة قرب المدينة من البحر؛ حتى يسهل اتصال المدينة بالعالم الخارجي، وهذا أمر واضح للعيان، فالوصول إلى الخليج الفارسي أمر ليس بالعسير، إما عن طريق الخروج من الحلة ومنها إلى نهر النيل ثم دجلة فشط العرب ثم الخليج الفارسي، أو الخروج إلى الصحراء والدوران حول البطائح حتى نصل إلى

---

(١) لستر نج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٦؛ جمال حمدان: المدينة العربية، ص ٢١٤.

(٢) ابن الربيع: سلوك المالك، ص ٩٣؛ ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٤٤.

(٣) ابن حوقل:صورة الأرض، ص ٢١٤؛ رحلة ابن جبير، ص ٢١٤.

(٤) دورثى مكاي: مدن العراق القديمة، ترجمة يوسف يعقوب، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٢، ص ٩.

(٥) ابن الربيع: سلوك المالك، ص ٩٣؛ ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٤٤.

(٦) راجع ص ١٠.

(٧) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٤٤.

الخليج الفارسي[١] وكان للقرب من البحر دور في نشاط تجارة الحلة، بخاصة أنها صارت محطة مهمة في طريق الحج الكوفي، بعد أن حلت محل مدينة قصر ابن هبيرة[٢].

هكذا ظهر لنا جلياً توافر الشروط التي حددها اثنان من المصادر العربية أحدها قديم والأخر متأخر، و هو ما يوضح أن مدينة الحلة مدينة عربية مثالية في موقعها وموضعها من وجهة نظر المصادر العربية، أما من الناحية العسكرية (الإستراتيجية) فقد توفر لها شروط الحماية الطبيعية والبشرية حتي عدت الحلة نقطة قوية strong point و هو ما وفر لها إمكانية المناورة والهجوم والدفاع، أي الحد الأقصى من الحماية و الحد الأدنى من الأخطار[٣].

أما عن خطط الحلة فمعلوماتنا عنها قليلة نتيجة سكوت المصادر عن ذكر كثير من التفاصيل، وما ورد كان في صورة مقتطفات أوردتها كتب الرحالة، وبعض التفاصيل البسيطة التي أوردتها المصادر التاريخية، وقد يكون مرجع ذلك إلى أن الحلة لم تكن عاصمة للخلافة، أو إحدى القوى الكبرى التي تغلبت عليها، وبالتالي لم تضعها المصادر في بؤرة الاهتمام.

وقد كانت الحلة مدينة مستطيلة ذات سور من اللبن[٤] وخارج السور كان هناك خندقاً يزيد من حصانة المدينة[٥]، وكان بالحلة مسجد كبير قرب النهر[٦]، كما كان بالحلة مدرسة، لم تبين لنا المصادر تاريخ بنائها ولا من وضع أساسها، لكن هذه المدرسة صارت جامعة لتدريس العلوم الشيعية الإمامية[٧]، بخاصة أن الشيعة الإمامية عرفوا بحبهم للعلم ووصفتهم كتب الشيعة بأن لهم باع كبير في نشأة العلوم

---

(١) راجع الخريطة رقم [١] في الملاحق.
(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٧.
(٣) جمال حمدان: جغرافية المدن، ص ٢٩ – ٣١.
(٤) رحلة ابن جبير، ص ١٧٩.
(٥) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٣٥.
(٦) هامش لمجهول على صورة الأرض، ص ٢١٩.
(٧) محمد الهادي الأسدي: كربلاء و دورها العلمي و المرجعي، موقع على الانترنيت بعنوان
http://www.darislam.com/home/alfekr/data/feker1314/10.htm

الإسلامية[١]، كما كان بالحلة مكتبه بها عدد كبير من الكتب التي كتبت بخطوط مؤلفيها، جمعها سيف الدولة صدقة الأول[٢]، كما كان بالحلة دار للقضاء يقيم بها قاضى الحلة[٣].

وقد تميزت مدينة الحلة بانتشار البساتين في أنحائها، حتى يكاد كل منزل من منازلها أن يكون له حديقة النخيل الخاصة به[٤] وبالتالي فقد أحاطت الحدائق بدور الحلة، مما ساعد على تلطيف درجة الحرارة، وانتشار الحدائق يؤكد أن منازل الحلة لم تكن متلاصقة مثل منازل بغداد، وربما يرجع ذلك إلى الطابع القبلي الذي سيطر على بنى أسد مما جعل كل عشيرة تبنى دورها متجاورة بعيدة عن باقي العشائر[٥].

وكان بالحلة سوق رائجة[٦] طوال أيام الأسبوع زاخرة بأنواع المتاجر، ولم يكن هذا الازدهار أمراً مستغرباً على الحلة؛ ذلك أن تحول طريق الحج إليها ساعد على نمو التجارة، بخاصة في مواسم الحج[٧]، ويرجح أحد الباحثين أن سوق الحلة والمسجد كانا متجاورين قرب الشاطئ[٨]كما يرجح أن دار الإمارة كانت بالقرب من المسجد، كما اعتاد بناة المدن الإسلامية[٩].

ومن أشهر المنشآت بالحلة مشهد صاحب الزمان، والمقصود به هنا مشهد الإمام الشيعي الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري[١٠] وكان هذا المشهد عبارة عن مسجد أسدل على بابه ستر من حرير، اعتاد أهل الحلة أن يرسلوا مساء كل يوم قرب

---

(١) علاء القزوينى: الشيعة الإمامية ودورها في نشأة العلوم الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٢.
(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٤٩.
(٣)نفسه، ص ٥٦١؛ سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١، ص ٩٦.
(٤) رحلة ابن جبير: ص ١٨٠؛ رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٢٠.
(٥) عماد الدين خليل: ملاحظات حول خطط الحلة، ص ٤٠.
(٦) هامش لمجهول على صورة الأرض، ص ٢١٩.
(٧) رحلة ابن جبير، ص ١٧٨، ١٧٩؛ رحلة ابن بطوطة، ص ٢٢٠ ٠
(٨) عماد الدين خليل: ملاحظات حول خطط الحلة، ص ٣٨.
(٩) رحلة ابن بطوطة، ص ٢٢٠.
(١٠) محمد ابن الحسن العسكري: هو الإمام الثاني عشر في اعتقاد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، والمختفي في سرداب في سامرا، وينتظر جمهور الشيعة الإمامية أن يعود إلى الدنيا و يعيد إليها العدل.راجع: الشهرستانى: الملل و النحل، ص ١٣٦؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص ٢٢٠.

المغرب ثلة من الجنود في كامل أسلحتهم ومعهم جواد مطهم مجهز بأدوات الفارس، ويقفون عند باب المشهد ويدقون الطبول وينادون صاحب المشهد على أمل أن يخرج إليهم، ثم يعودون إلى بيوتهم عند أذان المغرب[١] ولم تذكر لنا المصادر تاريخ بناء المشهد، لكن يبدو أنه جزء من تراث الشيعة بنوه علهم ينعمون بظهور إمامهم مرة أخرى، وربما بنى المشهد في الحلة بالذات على أساس أنها صارت في عهد بنى مزيد قاعدة وركن حصين للشيعة الإمامية.

ومن معالم الحلة الشهيرة القنطرة التي كانت تربط بين شاطئ نهر سورا للعبور إلي الحلة، وقد وصفها لنا ابن جبير [٢] في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، حين مر بها وذكر أن هذا الجسر كان ممتداً فــوق جسر من المراكب متصلة ببعضها بين شاطئي النهر، ووثقت ببعضها بسلاسل ضخمة من الحديد، وتشد إلى الشاطئ بخشابتين كبيرتين، ويبدو أن هذا الجسر أنشأ في فترة متأخرة من تاريخ بناء الحلة، وربما بعد نهاية الإمارة، وقبل بناء هذا الجسر كانت تستخدم القوارب للعبور إلى الحلة، ولم تقف مدينة الحلة عند الشاطئ الغربي من نهر سورا، بل أخذت تمتد في ظل الازدهار الواضح الذي عمها حتى شملت مدينة الجامعين القديمة[٣] ومن الواضح أن هذا الامتداد تم بعد بناء جسر القوارب، مما يسر سرعة الانتقال بين الشاطئين.

وقبل أن نختم حديثنا عن الحلة وجب علينا أن نناقش رأي الدكتور جورج مقدسي Makdisi حول تاريخ بناء مدينة الحلة، بخاصة أن المصادر أجمعت هي والمراجع الحديثة على أن بناء مدينة الحلة قد تم عام (٤٩٥ هـ / ١١٠١ م) على يد الأمير صدقة الأول[٤].

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٢٢٠.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ١٧٩.

(٣) عماد الدين خليل: ملاحظات حول خطط الحلة، ص ٣٩.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٣٥١؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ١، ص ٣٢٢؛ عبد الحق البغدادي:: مراصد الاطلاع، جـ ٢، ص ٤١٦؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٢٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٧؛ أمين واصف: الفهرست، تحقيق أحمد ذكى باشا، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٥؛ محسن أمين الحسيني: أعيان الشيعة، جـ ١، ق ٢، ص ٤١٤؛ دائرة

وقد شكك مقدسي في ثلاثة أمور، أولها موضع بناء مدينة الحلة الذي كان "أجمة تأوي إليها السباع "، كما ذكر ياقوت الحموي [١]، وكانت حجة مقدسي ما ذُكر في المصادر المتقدمة في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين[٢] لكن هذا الأمر مردود على أساس أن مدينة الجامعين عند بناء الحلة كانت قد صارت أثر بعد عين نتيجة غارات بنى خفاجة المستمرة عليها طوال القرن الرابع الهجري حتى غلب على موضعها النباتات البرية[٣] أو على الأقل الموضع الذي بنيت فيه مدينة الحلة غرب نهر سورا حيث كان يقيم بعض البدو الذين عوضهم عنه الأمير صدقة ببعض المال[٤].

كما شكك مقدسي في كون صدقة الأول هو الذي بنى مدينة الحلة عام (٤٩٥ هـ/ ١١٠١م)[٥]، لكن هذا الأمر أيضاً مردود على أساس أن استنتاجه بنى على ذلة قلم من ياقوت الحموي، حين ذكر بطريق الخطأ أن الذي بنى الحلة منصور بن دبيس [٦] و هو أمر صححه حين كتب عن الحلة[٧]، يضاف إلى ذلك أن الأدلة التي حاول بها مقدسي أن يثبت صحة رأيه كانت لمجهول دون بعض الأخبار على هامش كتاب صورة الأرض لابن حوقل، وهي معلومات متخبطة غير مستقيمة تنم عن جهل كاتبها بتاريخ بنى مزيد، بخاصة أنها دونت في فترة متأخرة[٨]، يضاف إلى ذلك ما ادعاه مقدسي من ذكر لفظ الحلة في المصادر العربية قبل (٤٩٥ هـ / ١١٠١م) في عدد من المصادر كدليل على أن مدينة الحلة بنيت قبل هذا التاريخ[٩]، و هو أمر ينم عن عدم

المعارف الإسلامية، جـ ٨، ص ٥٦.

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ١، ص ٣٢٢.

(٢) Makdisi: OP.CIT, P.250

(٣) جاسم الدوري: ملاحظات حول جورج مقدسي، جـ ٩، ص ٢٣٧.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٣٧.

(°) Makdisi: OP.CIT, P251.

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٧٣.

(٧) نفسه، ص ٣٢٢.

(٨) Makdisi: OP.CIT,P252.

(٩) Ibid

دقة الدكتور مقدسي، ذلك أن المراجعة البسيطة لمعاجم اللغة العربية تبين أن كل موضع يسكن فيه البدو يسمى بالحلة، وبالتالي ما فعله الأمير صدقة الأول مجرد عملية تحويل لفظ الحلة من الدلالة على ضروب الخيام المتنقلة إلى مدينة ثابتة مستقرة، وعلى هذا فلا موضع لشكوك مقدسي حول موضع الحلة ولا باني الحلة ولا تاريخ بناء الحلة.

إمارة بني مزيد بين الاستيلاء والإقطاع العسكري:

ونختم هذا الفصل بتحديد الإطار القانوني لإمارة بنى مزيد، فقد اهتم فقهاء المسلمين بالوضعية القانونية للأمراء المسلمين الذين تحكموا في أقاليم الدولة الإسلامية في ظل ضعف الخلافة العباسية، و هو ما دفع الفقهاء إلى وضع إطار قانوني يضمن شرعية هؤلاء الأمراء، بعد أن صارت الدويلات المستقلة أمراً واقعاً. وعمدة من كتب في هذا الموضوع هو أبو الحسن الماوردى في كتابه "الأحكام السلطانية " حيث وضع توصيفاً دقيقاً للإمارات وأنواعها، وكذلك الواجبات والحقوق الواجبة لكل نوع من الإمارة، حتى أصبح كتابه ميزان توزن به الدول وتقنن.

ولأن إمارة بنى مزيد واحدة من الإمارات التي ظهرت في عصر ضعف الخلافة؛ فوضعها القانوني يتم بوزنها على ميزان الماوردى، الذي صنف الإمارة و قسمها إلى قسمين: إمارة استكفاء وإمارة استيلاء. وإمارة الاستكفاء هي أن يولى الخليفة من يراه صالحاً لحكم أحد الأقاليم، ويكون هذا الأمير رهناً لأمر الخليفة، بينما إمارة الاستيلاء: فهي أن يخرج شخص يرى في نفسه القوة فيجمع جيشاً ويستولي على البلاد ويعجز الخليفة عن القضاء عليه، فيرسل إليه تقليداً بما تحت يده حتى يبقى في طاعة ولى الأمر ولو من الناحية الشكلية[١].

وقد صنف ابن خلدون إمارة بنى مزيد وجعلها في مصاف القوى المتغلبة[٢] أي أنها من إمارات الاستيلاء، وقد وفق ابن خلدون إلى حد كبير في توصيفه، ذلك أن الخلافة لم تعترف بأمراء بنى مزيد إلا بعد أن ثبتوا وجودهم على الساحة السياسية في

---

(١)الماوردى: الأحكام السلطانية، بيروت، ١٩٩٦، ص ص ٥١ – ٥٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ ٢، ص ٢٧٣.

العراق، يعضدهم الانتشار الواسع لبني أسد في جنوب الفرات، وبالتالي أدركت الخلافة العباسية، ومعها بنى بويه ألا مناص لحفظ الأمن في جنوب العراق إلا بالاعتراف بأمير من بنى مزيد بصورة رسمية منذ (٤٠٣ هـ/١٠١٢م)[١] وقد رأت فيهم الخلافة العباسية قوة حاجزة تحمى سواد جنوب العراق.

ولم ترض الخلافة و من تغلب عليها لإمارة بنى مزيد أن تتعد دورها دور الدولة الحاجزة، لذلك ما أن سعى الأمير صدقة الأول – رابع أمراء بنى مزيد – إلى الاستقلال والتوسع مستغلاً صراع سلاطين آل سلجوق حتى أجهضت محاولته عام (٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) علي يد السلطان محمد بن ملكشاه ([٢]) ورغم أن دبيس ابن صدقة بقى في بغداد لمدة عشر سنوات محدد الإقامة إلا أن الإمارة ظلت محفوظة له حتى أعيد إليها على يد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، ليقوم بنفس الدور الذي قام به أبوه قبل أن يتجه إلى الاستقلال[٣]. و مع مساعي الأمير دبيس إلى التوسع تصدت له الخلافة بشدة يساندها المتغلب السلجوقى[٤]. و مع ذلك ظلت أملاك بنى مزيد محفوظة لدبيس – رغم طرده – و لأولاده من بعده حتى توفي آخر أمرائها عام (٥٤٥هـ / ١١٥٠م)، ولم يكن تصرف السلاطين نابعاً من فراغ، لكنه صادر من إدراكهم أن عشائر بنى أسد لن ترض عن بنى مزيد بديلاً، لذلك حددوا إقامة أميرهم حتى إذا ثاب إلي رشده يعود إلى إمارته.

ومع ظهور السلاجقة ظهر نظام الإقطاع العسكري، الذي قننه الوزير نظام الملك أخذت الإمارة تكيف نفسها مع هذا النظام حفاظاً علي وجودها، والمعروف أن الإقطاع ليس أمراً محدثاً في عصر السلاجقة، لكنه وجد منذ صدر الإسلام[٥]. وكان يقوم على أساس استغلال الأرض في مقابل مبلغ مالي يؤدى للدولة، وفي عصر البويهيين تم

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٤٢ .

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٢٠؛ ابن الوردي، جـ ٢، ص ٢٥.

(٣) راجع الفصل الثاني، ص١١٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص ٥٩٨، ٥٩٩؛ كركوش الحلي: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ٣٦.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار،، جـ ١، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٩٦، ٩٧؛ أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ٢١٩، ٢٢٠.

استبدال العطاء المالي بالإقطاع لجنود الجيش البويهي[١]، وكان ذلك تمهيداً لظهور نظام الإقطاع الحربى الذي بلغ ذروته في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. الحادي عشر الميلادي على يد الوزير السلجوقى نظام الملك[٢] وذلك نتيجة الحروب الواسعة ضد البيزنطيين، بجانب نقص العائد من أراضى الدولة[٣].

و في إطار نظام الإقطاع الحربى قام نظام الملك بتنظيم أراضى الدولة السلجوقية، وميز بين نوعين من الأرض، النوع الأول الأراضي التابعة بصورة مباشرة للسلطان، والنوع الثاني يشمل الأراضي الخاضعة للإمارات شبه المستقلة في إطار سلطنة السلاجقة مثل إمارة بنى مزيد[٤]. وقد وزع النوع الأول من الأراضي بين جند السلاجقة عوضاً عن النظام المالي، وفي إطاره يلتزم صاحب الإقطاع بتقديم عدد معين من الجند بشكل يتناسب طردياً مع مساحة وإنتاجية الإقطاع، وفي حالة وفاة صاحب الإقطاع لا يرث ورثته سوى حق الاستغلال فقط[٥].

أما النوع الثاني فهي الأراضى الخاضعة للإمارات الصغيرة شبه المستقلة مثل إمارة بنى مزيد، وهذه الأراضى فرض علي حائزيها ثلاث واجبات لضمان ارتباطهم بالسلطة المركزية تمثلت في تقديم مقدار من المال بصورة سنوية للسلطة المركزية، بجانب متابعة زعيم الإمارة الزيارة للسلطان ليكون طوع أمره عند الحاجة، ثم تقديم عدد معين من المقاتلين للمشاركة في جيش السلطان عند الحاجة إلى ذلك[٦].

وكان بنو مزيد يخضعون للنوع الثاني من التنظيم الإقطاعي، ومن ثم فقد التزموا بأداء الواجبات الثلاث المفروضة عليهم، فقد التزموا بدفع مبلغ المال المفروض عليهم، وهو مبلغ لم تذكر لنا المصادر مقداره[٧]، أما الواجب الثاني وهو متابعة

---

(١) ابن مسكويه: تجـارب الأمم، جـ ٢، ص ٩٦.

(٢) Bernard Lewis: Op.cit.P. 145.

(٣) أحمد رمضان:المجـتمع الإسلامي، ص ٢٢١.

(٤) الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجـوق، ص ٦٠.

(٥) الأصفهاني: تاريخ دولـة آل سلجوق؛ أحمد رمضـان: المجـتمع الإسلامي، ص ٢٢١؛ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، ص ١٨٦؛ آشتور: التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٦) الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجـوق، ص ٥٠.

(٧) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٠٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٣٤٨ .

الخدمة في بلاط السلطان فقد التزموا به منذ عهد السلطان طغرلبك [١]، أما الواجب الثالث، وهو الخدمة العسكرية فقد شارك بنو مزيد بفاعلية في عدة معارك منذ عهد السلطان ألب أرسلان[٢].

وفي عهد الأمير صدقة الأول كثرت الخدمات العسكرية التي قدمها للسلطان بركياروق في حروبه مع أخيه السلطان محمد بن ملكشاه المطالب بالعرش، وهو ما دفع الأمير "صدقة الأول بن منصور " إلى محاولة التخلص من الواجب المالي المفروض عليه، ومع تصميم السلطان بركياروق على رفض ذلك تحول الأمير "صدقة الأول بن منصور " إلى مولاة السلطان محمد بن ملكشاه [٣] ومن الواضح أن السلطان محمد بن ملكشاه قبل ذلك الأمر من الأمير صدقة، بدليل الخدمات التي قدمها الأمير "صدقة الأول بن منصور " للسلطان محمد بن ملكشاه [٤] وعندما تم الصلح بين الأخوين محمد وبركياروق صارت إمارة بنى مزيد تابعة للقسم الخاص بالسلطان محمد بن ملكشاه[٥].

نخلص مما سبق إلى توصيف إمارة بنى مزيد بأنها إمارة استيلاء، قبلتها الخلافة لتقوم بدور معين لا تتجاوزوه، وأن حدث كان التأديب والزجر. ومع ظهور نظام الإقطاع العسكري خضعت له الإمارة ذلك لنظام الذي أرسى دعائمه الوزير السلجوقى نظام الملك، وأن الإمارة في عهد صدقة وصلت إلى مرحلة إقطاعية تشبه إقطاع جند السلاجقة الذين التزموا بأداء خدمات عسكرية دون دفع المال.

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٦١ .

(٢) نفسه، ص ٧٨؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٠.

(٣) Cambridge history of Iran , Vol 5, P110.

(٤) راجع الفصل الثاني ص ص ١١٤-١١٧ .

(٥) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٧٠ .